

النفس والجنس والجريمة

أعماقها
هل طالت
هل هي ثقافتها
في ثقافة الجرح، أم أنها الثقافة
المرء فيها ويحترق في الأعين، في التلفزيون وعلى
ربا وهيكنية ورجالهما استخدموا الأيدي العارية لخشخاشهم، ثم دفعهم تحت
بلاط الشقق اللافتة سناً رومانياً، في بني مزار استخدم القاطن هيكنية وساطورا،
المناخ والمقبول في سماء وقاد، في القاهرة وألكسندرية وأماكن أخرى من
الصعيد، يلعلع الرصاص ليخترق الجسم فلا حياء، رجال من يخرق ويخرق
ومناكه من تقطع زوجها أنثى، ومن يستخدم خبرتها في حقن لتخدر زوجها لتقطعه
نصفين، ترمي نصفها في القمامة وتحفظ بالآخر تحت سرير، وهكذا ... سلسله
لا تنهي من أنجرائم على مر العصور من ربا وهيكنية حتى بني مزار، حاولنا فهم
ورصد بعض علاقات تلك الطوائف ببعضها، خللنا جامدين في محاولة شاقة لفهم
النفس البشرية

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

النفس و الجنس و الجريمة

(دراسة)

د. خليل فاضل



النفس و الجنس و الجريمة

(دراسة)

د. خليل فاضل

النفس و الجنس و الجريمة

(سيكولوجية القتل والقاتل)

الطبعة الأولى - ٢٠٠٧

رقم الإيداع: ٢٠٠٧/١٥٣٠١

الغلاف: عمر مصطفى

دار ملامح للنشر

٢ ش الديوان - جاردن سيتي - القاهرة

تليفون: ٠١١٢٧٧١٥٢٢

E-mail : info@malamih.com

Website: www.malamih.com

المدير التنفيذي: محمد الشرقاوى

جميع الحقوق محفوظة لدار ملامح للنشر © ٢٠٠٧

المقدمة

هذا الكتاب

عن العلاقة الجدلية بين النفس و الجريمة وارتباط الجنس بهما في بعض الحالات . ينقسم إلى ثلاثة فصول: في الفصل الأول ما بين ريا وسكينة وبنى مزار، اختار المؤلف حادثتي ريا وسكينة وبنى مزار. على اعتبار أن كلا منهما قد حقق دويًا إعلاميًا ارتجت له جنابات الرأي العام في مصر وإن كانت ريا وسكينة قد حظت بالقسط الأوفر لقدموها التاريخي ، وهنا يبرز السؤال المحير ما هو ارتباط ريا وسكينة بالجنس؟ (كثير من الناس لا يعرف أنهما كانتا يديران بيوتًا للدعارة بمساعدة رجالهما) أما في حالة بنى مزار ومع كل التشوش الحاصل نتيجة تباين الآراء واختلافها وتناقض بعض الأمور إلا أن بتر الأعضاء التناسلية للذكور والعبث بتلك للإناث يعد بالفعل هوسًا جنسيًا بصرف النظر عن من هو (القاتل) وأن وجود تلك الأعضاء في مكان الجريمة بعد أن دلّ عليها المتهم يدحض نظرية المؤامرة في بيع الأعضاء البشرية أو مسألة أخرى تتعلق بالموروث الشعبي في تلك المنطقة. بمفهوم (فتح الكثر) وما شابه ذلك.

أما في الفصل الثاني المعنون في مسألة القتل فيتناول الكاتب أحداثاً هزت بلادها. ففي عيد ميلاد هتلر قام مراهقان أمريكيان بنسف مدرستهما وقتل خمسة عشر طالباً بدم بارد، وفي أمريكا أيضاً كان قاتل الـ ١٧ رجلاً شاذاً وجانحاً وقتلاً غير عادي، أكل أجزاء من جثث ضحاياه ومارس الجنس مع أربعة من الموتى ثم مات على يد سجين آخر داخل السجن بعد أن ضربه ضرباً مبرحاً داخل المرحاض ، وينتقل المؤلف في نفس الفصل من أمريكا إلى إسكتلندا حيث شرح بالتفصيل مأساة دنبلين تلك القرية الوداعة التي روعها توماس هاملتون بقتله ستة عشر طفلاً ومدرستهم ثم انتحر بنفس

أداة القتل مسدسه النصف أتوماتيكي الـ ٩ ميللمتر - ومن إسكتلندا إلى مصر ، إلى دار السلام أحد أطراف القاهرة الكبرى بعد أن قتل العشيق الزوج بمساعدة زوجته ثم رقص على جثته ومارسا الجنس ، ومن دار السلام إلى محافظة الغربية شمال القاهرة لقاتلة زوجها مدمن الجنس و الفياجرا ثم مرة أخرى يعود بنا المؤلف إلى القاهرة لمناقشة ظاهرة قتل الأزواج التي كانت مثيرة جداً للرأى العام في مصر بعد أن قتلت زوجة في الجيزة زوجها بالساطور وبعدئذ صارت حكاية تلك فيلماً (المرأة و الساطور).

أما الفصل الثالث: اغتصاب وشنود؛ فيتناول الأبعاد النفسية لانتهاك الأطفال جنسياً ، ومنها إلى قضية بريطانية حيث يسمح القضاء هناك للجاني باستجواب المحنى عليها فيما يشبه إعادة اغتصابها .

وفي المملكة المتحدة أيضاً يفتح المؤلف ملفات العنف الزوجي الشائع في كل بلدان العالم تقريباً، لكن هذه المرة يناقش عنفاً غير محسوب من الزوجة (جاكي) التي هشمت زوجها (أندرو) ، وكذلك في بريطانيا وفي قضية غريبة وفريدة من نوعها كان بطلها مهندس تليفونات بريطاني استخدم مهارته واستغل مهنته، لكي يرعب ٣٠٠٠ امرأة عن طريق الهاتف؟! ، ثم يناقش (ظاهرة الجنس الثالث) لمغنى البوب الأشهر (بوى جورج) الذي يفضل فنجاناً من الشاي على أية علاقة جنسية مع رجل أو امرأة؟! (على حدّ قوله) ومن عالم أغاني البوب الزاهي الألوان إلى القاهرة لمناقشة (جريمة الأسبوع ، التي نشرتها مجلة " روز اليوسف " تحت عنوان (حفل جنسى جماعى فى مصر الجديدة) ليناقش المؤلف ويفسر ويحلل ظاهرة الجنس الجماعى فى إطار العطل الجنسى المتخفى وراء ممارسات شاذة وكاميرا فيديو ، وذلك الخط الأحمر بين ما يدور فى العقل ، وما يحدث فى

الواقع مع تحديد الأسباب الحقيقية للانحراف الجنسي . أما موضوع تنظيمات وشواذ فيشرح فيه المؤلف ما يشوب قضايا المثلية الجنسية التي تتخذ لها الأجهزة الأمنية أسماء عدة مثل (أبناء لوط) و(عبدة الشيطان) ، ومنها ينتقل إلى السؤال المحير للغاية: لماذا يتزوج بعض الرجال الشواذ جنسياً ضارباً المثل بالحالة الشهيرة في رواية عمارة يعقوبيان لعلاء الأسواني؟، وبعدئذ يحلل المؤلف في محاولة تحليلية نفسية للفهم تعريف الجنوح الجنسي بشكل عام، ثم يصنف الجنسيين المثليين علمياً ، وبعدها يناقش مفهوم الماسوشية أو (المازوخية) بمعنى استعذاب الألم و الذل جنسياً ، ثم ينتقل إلى منطقة أخرى غريبة بعض الشيء لكنها تكاد تكون ظاهرة في المجتمعات العربية طارحاً السؤال هكذا : لماذا يقبل الناس على مشاهدة الفضيحة؟ ، سحر البورنو الخاص ذلك ، ويختتم الفصل بحكاية الرئيس السابق للولايات المتحدة (بيل كلينتون) وجوعة الجنسي في ضوء فضيحة (مونيكا).

الكتاب في فصله الأول يلمس العلاقة بين النفس و الجريمة ويمر بالجنس عابراً وفي الفصل الثاني تكون العلاقة الثلاثية بين النفس و الجنس و الجريمة (عنوان الكتاب) الأوضح في جرائمها وأحداثها .

أما الفصل الثالث فهناك ربط بين النفس و الجريمة و الجنس ، وبين النفس والجنس فقط دون الجريمة.

يحاول الكتاب الرصد ، التحليل ، الفهم ، التأمل ويترك للقارئ مساحات كبيرة لمتابعة البحث وللتأمل.

مدخل

هل أصبح العنف إدماناً في مجتماعتنا العربية ؟

هل أصبح يرى رؤية جمعية تكون فيها الرغبة الخاصة متوحدة مع خيال العوام؟

لماذا ينجذب الناس في جموعهم هكذا إلى صور وحكايات القتل والتعذيب، حكايات الجريمة وأخبار الحوادث ..؟

هل أصبح ذلك وعاءً مرضياً للعامة يفرغون فيه رغباتهم المدفونة، في سماع قصص وروايات القتل وغيرها ؟ هل أصبح الخط باهتاً بين الفرد والناس، وبين الخاص والعام ؟ ...

هل تكمن الإثارة في فتح جروح الخاص والتأمل فيها بل و التحديق المجنون في أعماقها؟

هل طالت تلك الجروح العقول أيضاً ؟

هل هي ثقافة العنف و ثقافة الجرح، أم أنها الثقافة المجروحة التي ينحدر المرء فيها ويتمزق في الأعين، وفي التلفزيون وعلى صفحات الصحف ؟!

ربّما وسكينة ورجلهم استخدموا الأيادي العارية لخنق ضحاياهم، ثم دفنهم تحت بلاط الشقق اللاتي استأجروها، أما في بني مزار استخدم القاتل سكينةً وساطوراً، المتاح والمقبول في مصر وقراها، في القاهرة والإسكندرية وأماكن أخرى من الصعيد، يلعلع الرصاص ليخترق الجماجم والأجساد، هناك من يحرق ويغرق وهناك من تقطع زوجها أشلاء، ومن تستخدم خبرتها في الحقن لتخدر زوجها لتقطعه نصفين، ترمى نصفاً في

القمامة وتحفظ بالآخر تحت السرير، وهكذا ... سلسلة لا تنتهى من الجرائم على مرّ العصور من رّيا وسكينة حتى بنى مزار، حاولنا فهم ورصد بعض علاقات تلك الظواهر ببعضها البعض، حلّلناها جاهدين فى محاولة شاقة لفهم النفس البشرية.

مقدمة

مجرم أم مجنون

تنشر الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية في جميع أنحاء العالم أخبارا وتحقيقات مثيرة عن الجريمة وأبعادها ، في هذا المقال أحاول إلقاء الضوء على قضية حساسة تشغل بال الناس بشكل عام والقضاء وأطباء النفس بشكل خاص

يستخدم الطب النفسي عادة في المحاكم من أجل تثبيت دعائم ضمير المجتمع وأخلاقه العامة . وحينما تتفق آراء الطبيب النفسي مع حيثيات القضية، فإن الطب النفسي من خلال ابنه الشرعى (الجنون)، يقدم تبريرا معقولا يساعد المحكمة على الرأفة والحكم العادل ، وحينما يريد القضاء معاقبة الطب النفسي والمتهم على حد سواء، فإن المعنيين بأمر العدالة يرون في الطب النفسي والمتهم أصحاب هدف واحد ألا وهو تفادى العقوبة ، وبالتالي ينظر إلى المتهم على أنه إنسان سىء وشرير، وإلى الطب النفسى كنموذج ساذج للعلم والمعرفة .

في الحقيقة أنه لا تناقض بين الجنون والشر، بمعنى أن تكون مجنونا لا يعنى أنك لست شريرا والعكس بالطبع صحيح. فالبعد الأول الشر .. أو الشخصية غير السوية. مجرد قياس لصفات غير مرغوبة مثل أن تكون عديم الأخلاق معتديا مزعجا وفظيحا ، من ناحية أخرى فإن الجنون لا يعنى سوى اختلال العقل والإدراك والشعور والتفكير ، أى المرض العقلى .

لكن لماذا يقرن الناس مسألة الإجرام والشر بالجنون ؟...

الإجابة بسيطة، وتتعلق بأمر واحد، ألا وهو مسئولية الإنسان، عما يرتكبه من أفعال ، فإذا كان مرتكب الفعل الجنائي مثلاً مريضاً عقلياً فإنه يكون غير مسئول عن أفعاله، أما الشرير فإنه حتماً يستحق العقاب ، لهذا فإن ربط الشر بالمرض العقلي يتيح توزيع اللوم بشكل يرضى الجميع.

فالذى يقتل أباه لأنه رأى فيه الشيطان، نتيجة ضلالات محددة، فإنه في رأى البعض من المختصين يكون معفياً من المسؤولية فيما يخص أباه فقط ، أما إذا قتل أباه وخرج إلى الشارع، وقتل مجموعة من الناس، يكون غير مسئول عن حالة قتل أبيه ومسئول في حالة قتله للناس ، بينما يرى الكثير من المختصين أن هذا الرجل مصاب بمرض عقلي، وهو مختل الإدراك والشعور في كل الأحوال ويجب أن يعفى من المسؤولية بشكل عام. وهناك آراء واجتهادات كثيرة لكنها كلها تتفق على شيء واحد ألا وهو أن الطب النفسى و العدل، كلاهما — على رغم من قوانينهما الثابتة — يعدان من أكثر الأمور إثارة للجدل واختلاف الرأى. ومن هنا فإن القاضى المتزمت، والمحامى المتمسك بكل حرف مكتوب، والطبيب النفسى الذى يحاول تطبيق المعلومات العلمية على البشر بحرف المسطرة، سيجدون ما يختلفون عليه بشكل مطلق وحاد .

كل هؤلاء لا يمكن أن تكون آراؤهم صحيحة بشكل مطلق. لا بد وأن تكون هناك رؤية خاصة لكل إنسان على حدة، ولكل حالة في شكلها الاجتماعى، ولكل حدث في بعده وأثره وخلفيته الاجتماعية والإنسانية .

القصة الشهيرة لسفاح يوركشاير (بيتر ساتكليف) الذى قتل عددا لا يحصى من النساء المعروف منهن فقط ستة عشرة امرأة. أجمع استشاريو الطب النفسى على أنه مريض بفصام العقل (السكيزوفرنيا) ، والقضاة يعرفون أكثر من أى أحد أن أطباء النفس صادقون، وأن (ساتكليف) فعلا مجنون، لكن العرف الاجتماعى، والحرص على مشاعر الرأى العام، يستدعى أن يكون المتهم مذنبا ويعاقب، لكن الطريف فى الأمر أنه بعد سنوات من سجن (ساتكليف) نقل بأمر قضائى إلى مصح خاص للأمراض العقلية .

نفس الشيء بالنسبة إلى مريض مدمن ومضطرب الشخصية ، عدوانى ، خطر على نفسه وعلى أهله وعلى المجتمع، بدون عمل، بدون رعاية، لم تتعد فرص علاجه سوى وصف بعض العقاقير ذات التأثير النفسانى ، قادت الظروف هذا المريض إلى ارتكاب فعل عدوانى. فما هو موقف العدالة والطب النفسى منه حالة هياجه الشديد واضطرابه وحيرته وتوتره وتشوشه ذهنى فى وقت محدد؟؟.

هل لأنه "شرير" يكون مسئولاً عن كل أفعاله، وننسى إدمانه واضطراب شخصيته وانخفاض ذكائه وقلة حيلته؟؟؟ .

إذا رفضت العدالة تشخيص حالة المريض على أنه مختل الإدراك لحظة ما، فإن هذا الرفض يعنى رفض اعتبار التلويح بالعنف، كما يعنى الخلو من المسئولية والتهوين منها بالمرض. ويعد محاولة للتخويف. ومن ثم قد يكون التلويح بالعنف مجرد حدث عادى قام به مريض مدمن مزعج محبط يبحث عن حل داخل إطار مؤسسات المجتمع المختلفة .

في النهاية فإن العدالة ومؤسساتها، حينما تأخذ بين جناحيها طب النفس وعلومه، فإنما تحاول قدر إمكانها تكوين ترسانة مسلحة تدافع عن المجتمع وأفراده ، لكن في نفس الوقت فهناك من يشير بأصابع الاتهام إلى الطب النفسي باعتباره أحد أسباب وصول بعض الناس إلى أن يكونوا مرضى بهذا الشكل. بمعنى عدم توفيره شكلا وقائيا عمليا للناس المعرضين للإصابة والاكتفاء بعلاجهم ، وكذلك بعدم توفيره فرص التأهيل والعلاج الحقيقي بالتعاون مع المؤسسات الاجتماعية والقانونية وكل أنظمة الدولة ، لا بأن يكون العقاب وحده وسيلة لردع من أساءوا إلينا جميعا، وهو في الحقيقة من ضحايا أخطاء المجتمع بما يحوى ذلك من بيت وأسرة ومدرسة ومستشفى وعيادة .

الفصل الأول

ما بين رِيَّا وسكينة وبنى مزار

البداية في بني مزار كانت ...

(١٠) قتلى في مذبحه مروعة وغامضة في بني مزار
الجنة اقتحموا منازل الضحايا ليلا وهربوا دون أن يشعر بهم أحد)

هكذا كان عنوان الخبر في صحيفة الأهرام عدد ٣٠ ديسمبر
٢٠٠٥ ، ثم استطرد المحرر (شهدت الساعات الأخيرة من هذا العام مذبحه
مروعة جرت وقائعها داخل عزبة شمس الدين التابعة لمركز بني مزار في
محافظة المنيا، عندما عثر الأهالي في ساعة مبكرة من صباح أمس على عشر
جثث لثلاث أسر مختلفة مقتولين داخل منازلهم المتقاربة وغير المتلاصقة
بشارع واحد ومن بينهم ٤ أطفال وثلاث سيدات).

وفي عرض تفصيلي للخبر أوردت الصحيفة أن قد أشارت
المعلومات الأمنية إلى أن جنة مجهولين اقتحموا منازل الضحايا خلال الليل،
وفي سكونه نفذوا المجزرة بطريقة وحشية باستخدام آلات حادة وأجهزوا
على جميع من وجدوهم بالمنزل الثلاثة ومن بينهم رضية لم تعد عامها
الأول، عثر الأهالي بالمنزل الأول على أسرة مكونة من الزوج والزوجة
وطفليهما ١٠ و٨ سنوات، وبالمترل الثاني على جثة حمام شاب ووالدته
العجوز، وفي المترل الثالث على جثث مدرس شاب، وزوجته، وطفليهما ٣
سنوات وعام واحد.

انتقل للقرية فريق من أعضاء نيابات المنيا لإجراء المعاينات لمسرح
المذبح، والتحفظ على آثار الجريمة، أكدت المعاينة تشابه طريقة القتل لأفراد
الأسر الثلاث والتمثيل بهم وانتزاع بعض أعضاء الضحايا في مشهد بشع، مما
يرجح أن يكون الدافع هو الانتقام الرهيب مع عدم استبعاد الدوافع الجنائية

الأخرى، في الوقت الذى أكدت فيه مصادر أمنية عدم وجود دوافع سياسية وراء الجريمة.

في اليوم التالى نشرت الأهرام — السبت ٣١ ديسمبر ٢٠٠٥ — الصفحة الأولى : تحت عنوان كشف لغز مذبحه بنى مزار — الجاني مريض نفسيا ارتكب المجزرة بصورة هستيرية (توصلت أجهزه الأمن إلى معلومات محددة ودقيقة من شأنها كشف الغموض الذى أحاط بمذبحه عزبة شمس الدين ببني مزار بالمنيا) ، وأشارت المعلومات التى حصل عليها المحرر القضائى للأهرام إلى أن مرتكب المجزرة شخص مريض نفسيا، وهو من سكان البلدة، وأقدم على جريمته الوحشية بدوافع هستيرية فى تنفيذ الجريمة، والتمثيل بحث الضحايا العشرة، خاصة الأطفال منهم بطريقة بشعة، واستئصال أعضائهم وأخذها معه.ومن المنتظر أن تعلن وزارة الداخلية خلال الساعات المقبلة تفاصيل المذبحة وسيناريو تنفيذها، وفقاً لاعترافات الجاني التفصيلية، بعد جمع الأدلة والقرائن المؤكدة على ارتكابه للجريمة، وكانت عمليات الفحص الفنى للطب الشرعى والمعمل الجنائى لآثار المذبحة، وتشريح جثث الضحايا قد أكدت وحدة الأداة المستخدمة فى الجريمة البشعة وتمائل طريقة القتل والإصابات التى لحقت بالقتلى وتمائل أسلوب دخول المنازل الثلاثة للضحايا الذين تم اختيارهم بطريقة عشوائية إجرامية.

كما أشارت المعاينات إلى أن السفاح باغت الضحايا أثناء نومهم ، ولم يكن أمامهم فرصة للاستغاثة أو السيطرة على القاتل المتوحش الذى راح يمثل بحث قتلاه بطريقة عبثية وحشية، حيث تبين ذبح جميع الضحايا من الرقبة باستخدام آلة حادة بطريقة واحدة، وشق بطونهم بالأداة نفسها، ثم الضرب بعنف على مؤخرة الرأس من خلال سنجة أو ساطور، (اتضح

بعدئذ أنه ساطور) فضلا عن استئصال أعضاء الذكورة بطريقة متماثلة،
والعُبث بالأعضاء التناسلية للسيدات. وكانت أجهزة الأمن في إطار بحثها
المكثف عن الجاني، وكشف لغز المذبحة قد استحويت عدداً كبيراً من أهالي
البلدة وأقارب الضحايا للوصول إلى الجرم، ومن خلال جمع الأدلة
والمعلومات تم التوصل كما أوردت الصحيفة إلى تحديد شخصية مرتكب
المجزرة ، كما أوضحت المعلومات عدم وجود عنف في اقتحام القاتل للمنازل
ضحاياه، بل دخل بطريقة عادية مما يرجح أنه شخص معروف للقتلى، وقد
سادت حالة من الذعر والرعب سكان البلدة حتى أن بعضهم لم يبت ليلاته
في منازلهم، خوفاً من تعرضهم لمذبحة جديدة. ثم أفاد محمد شروخ محرم
الأهرام في نفس العدد أنه قبل مرور يومين على وقوع مذبحة بنى مزار
البشعة.. كشفت أجهزة الأمن الغموض الذى أحاط بالجريمة، حيث
توصلت لمعلومات تفيد بأن الجاني مختل عقليا، ومن أبناء القرية، وأنه ارتكب
المذبحة بدوافع هستيرية، ومن المقرر . وكانت قرية شمس الدين بالمنيا قد
فوجئت بتفاصيل المذبحة المروعة . شكلت تفاصيل الجريمة الدامية خيوطا
متشابكة من الألغاز، حيرت الجميع حول الدافع وراء ارتكابها بالتزامن في
التوقيت بل وبنفس التفاصيل. و رجحت المعلومات الأولية أن يكون الانتقام
هو الدافع وراء المذبحة، ولكن بوجود الأهرام على الأرض التى شهدت
أحداث المجزرة كانت هناك تكهنات قوية سادت أجواء القرية في أن يكون
مرتكب المذبحة مريضا نفسيا أو مختلا عقليا وهذا ما أكدته المعلومات فيما
بعد.

عزبة شمس الدين تبعد عن مدينة بنى مزار شمال مدينة المنيا، ما
يقرب من خمسة كيلو مترات، لها نفس معالم القرية المصرية التقليدية حيث
المنازل الريفية المتلاصقة، والشوارع الضيقة، والمزارع المترامية، أما عن

الشارع الذى شهد الفاجعة فهو يبدو واسعا نسبيا يسمى (داير الناحية) ويطلقون عليه أحيانا شارع الجسر . وبطبيعة الحال ليس للمنازل أرقام، وعند منتصف الشارع تقريبا يقع أول المنازل المنكوبة وهو منزل المزارع سيد محمود عبده، وهو مكون من طابقين ويتخذ شكل الطراز الريفى القديم، ودخله دارت أولى حلقات المذبحة، فقبل دقائق من الحادث كان يرقد صاحبه وبجواره زوجته صباح على عبد الوهاب وغير بعيد عنهما طفلهما أحمد ٨ سنوات وفاطمة ٧ سنوات، والوضع الذى عثر فيه على الجثث الأربع يشير إلى أن الجاني قد اغتال أرواحهم وهم نيام هكذا استطرد محرر الأهرام . وترك متزلين وندخل المنزل الذى يليهما لنجد تفاصيل الجريمة الثانية التى راح ضحيتها المحامى الشاب طه عبد الحميد محمد ٢٨ سنة ووالدته وفى الغالب كانا أيضا خالدين فى النوم وقت ارتكاب الحادث حتى أن يقع دماهما تناثر على الوسائد والأرض وتركها الجاني ليحتتم جرائمه البشعة فى منزل غير بعيد عن المتزلين السابقين على الجانب الآخر من الشارع مستخدما نفس الأداة والأسلوب السابقين فى قتل صاحب المنزل وهو المدرس يحيى أحمد أبو بكر البالغ من العمر (٤٨ عاما) وزوجته بثينة على محمد (٣٥ سنة) وطفلتها أسماء ذات العشرة أعوام وكذلك الطفل الرضيع محمود الذى لم يكمل شهوره الثلاثة كتم أنفاسه وذبحه بنفس الطريقة القتلية العشرة ذبحوا باستخدام السكاكين وكان أسلوب الذبح من الرقبة بجرح قطعى ممتد يبدأ من منتصف الرقبة ويمتد إلى أسفل الأذن. وبنفس الطريقة لكل الضحايا العشر، ثم انتزع الجاني الأعضاء التناسلية للقتلى حتى الأطفال. قام الجاني بذبح بعض من طيور الحمام وألقاها بجوار الجثث لتختلط دماؤها بدماء الضحايا. كان البحث أمام رجال المباحث لغز التوصل إلى دوافع الجريمة، فلم توجد وقتها أية دلائل تشير إلى تلك الدوافع، فلا هى للسرقة

ولا خلافات بين الضحايا وبين أى أحد، بل لا يوجد أى عامل مشترك بين المجنى عليهم سوى أنهم أبناء قرية واحدة وشارع واحد كما أكدت المصادر . وأكدت أنه كان معروفاً عند أهل القرية بالوداعة ولم توجد بينهم صراعات تأرية من أى نوع، انتشرت الشائعات عن الكثر المفقود بالعزبة ،وكان الناس يتحدثون عن مشعوذ كان يزعم تحضير الجان وأنه يستطيع إخراج الكنوز من منازل الفلاحين وتردد على منازلهم بعد أن انتشرت بالعزبة ظاهرة البحث عن الكنوز الوهمية منذ فترة طويلة، يقال لأن المشعوذين كانوا يستخدمون الأطفال المدعورين فى طقوسهم الشيطانية كما يستخدمون الطيور المذبوحة فى إجراء أعمال الدجل والشعوذة،ولذلك تلاحقت جهود البحث فى جميع الاتجاهات لكشف أبعاد الجريمة.

أهالى عزبة شمس الدين^١

(بعد أن شيع أهالى عزبة شمس الدين جثث الضحايا العشر..استمعت نيابة بنى مزار إلى أقوال كمال عبد الحميد الذى يعمل بمخبز بلدى بنفس العزبة، وشقيق المحامى طه عبد الحميد الذى لقى مصرعه ووالدته، قال إنه استيقظ من نومه كعادته فى ساعة مبكرة مع آذان الفجر للتوجه إلى عمله، وقد اعتاد أن يقوم بتقبيل يد والدته لحظة إيقاظها لصلاة الفجر ، فلاحظ له مصباح لمبة الصالة مطفأة ، وذلك على الرغم من أن أسرته اعتادت أن تكون الصالة بها إضاءة وما إن توجه إلى غرفة والدته لإيقاظها حتى وجدها غارقة فى دماؤها فأسرع على الفور لإيقاظ شقيقه المحامى طه عبد الحميد من غرفة نومه ، حيث اعتاد أن ينام فى غرفة مستقلة فوجده جثة مسجاة على الكنبه وغارقاً فى بحر من الدماء، مما دفعه إلى الخروج من المنزل والاستغاثة بالجيران الذين تجمعوا لمشاهدة الحادث وعلت صراخات . كما استمع فريق المحققين إلى أقوال كل من الشقيقات الثلاث منى سيد محمود وزينب وأم هاشم أنهن سمعن صراخا بصدر من منزل مجاور لمترهن فهرعن للوقوف على أسبابه، قررت الفتيات الثلاث أنهن يقمن مع الأسرة المكونة من والدهم سيد محمود محمد عودة ٥٠ سنة ووالدتهم صباح على عبد الوهاب، وشقيقيهما أحمد ١٠ سنوات وفاطمة ٨ سنوات إلا أن الفتيات الثلاث يقمن بالطابق الثانى بالمنزل فى الوقت الذى اعتاد الأب والأم والشقيقتان المبيت فى الطابق الأرضى وأضاف الفتيات الثلاث أنهن أثناء نزولهن فوجئن بجثث الأب والأم والشقيقتين وسط بركة من الدماء فهرعن

^١ صحيفة الأهرام - ١ يناير ٢٠٠٦

أمام المتزل حيث تجمع الجيران، وأضافت الفتيات الثلاث أنهن لم يشاهدن أى شخص غريب بالمتزل ولم يشعروا بأحد لحظة تنفيذ الحادث.

كانت الاحتمالات تشير إلى أن الجاني ربما كان مريضاً نفسياً، أو مختلاً عقلياً، حيث أنه نفذ جريمته بطريقة عشوائية وحشية وعشبية. وأكد مصدر أمني وقتئذٍ أن فرق البحث تضع أمامها كل الاحتمالات والدوافع، ولكنها لم تتوصل إلى دافع للانتقام، أو الثأر، أو السرقة، بعد فحص جميع علاقات الضحايا. وأشار إلى أنه يجري البحث عن بعض المرضى النفسيين، سواء من البلدة نفسها، أو القرى المجاورة، وأيضاً شهود رؤيته، ربما يكونون قد شاهدوا الجاني.

ناقش د.محمد المهدي في مقالة الذى نشر على النت تحت عنوان: (هل فعلها المجنون في بنى مزار؟)، رأى د. المهدي أن أمر تسوية جريمة بنى مزار البشعة بات شيئاً مطلوباً لطمأنة الناس وقدئة النفوس واستمرار الحيرة والغموض ربما يؤديان إلى تداعيات خطيرة خاصة إذا ذهب الظنون في اتجاهات العنف القبلى أو العشائرى أو العائلى أو الطائفى، هنا يصبح الأمر كارثة لأن حجم الغضب والانتقام سيكون متناسباً، بل ربما يكون متجاوزاً ، لبشاعة الجريمة وما صاحبها من تقطيع وتمثيل بالجثث .

و رأى د.المهدي أن هذا قد يكون هو السبب فى التعجل بتقديم أحد المرضى بالفصام فى القرية على أنه الفاعل ، واعتبر أن هذا حل مريح لجميع الأطراف، فبالنسبة للسلطات الأمنية يخفف عنها الضغط الفوقى المتسائل عن السبب والفاعل، ويخفف أيضاً ضغط الرأى العام القلق والمتروك فى هلع لأهل الضحايا فهم سيحتسبون الأمر عند الله ولا يفكرون فى القصاص حيث إن الفاعل مجنون وليس على المجنون حرج ، وبالنسبة لأسرة

الجنون في رأى د. المهدي فقد حانت الفرصة أمام ابنهم لتلقى العلاج في مستشفى نفسى كبير تحت رعاية السلطات المختصة ويخف ضغط مرضه عنهم ربما يكون د. المهدي صائباً في هذا الأمر في زمن تردى فيه العلاج النفسى الحقيقى للمرضى العقلين، ربما يواجهون بعض المشاكل من نظرة الناس إليهم على أنهم ذوى القاتل ولكن هذا يمكن أن يتلاشى مع الوقت فهم ليس لهم دخل فيما حدث (في الحقيقة أن أهل المتهم تركوا القرية بما فيها وللأسف أن البعض استغلهم سياسياً من أجل الإدلاء بأقوال وتصريحات يصعب تصديقها) . وهذه بالطبع لم تكن وجهة نظر د. المهدي وحده وإنما آخرون أطباء نفسيون وخبراء أمنيون وعبرت وجهة النظر عن أن هناك دوافع قوية لدى الجميع (شعورية وغير شعورية) لإلصاق التهمة بشخص مجنون يحمل وزر ما حدث، ويبقى الجميع شر تداعيات هذه الجريمة البشعة ، وفي النهاية لن يواجه هذا الشخص المريض عقوبة قاسية مثل الإعدام، وإنما سيحال إلى أحد المستشفيات العقلية للعلاج ، وهكذا يغلق هذا الملف مع أقل قدر من الخسائر ، أما الضحايا فهم في ذمة الله يعوضهم ويعوض ذريتهم عما حدث . (وهذا سرّ عدم تصديق الناس أن يكون الجاني هو محمد عبد اللطيف) وتساءل الدكتور المهدي هل يستطيع فعلاً شخص مصاب بالفصام أن يقوم بهذا الفعل على الطريقة التي حدث بها وبهذا التخطيط المحكم وحده في ثلاثة بيوت متفرقة وتجاه عشرة أشخاص لم يقاومه أحد منهم؟

ولقد أجبنا عن هذا السؤال تحديداً في مقالى بالأهرام، ثم يستطرد الدكتور المهدي بأن الذى يتعامل مع حالات الفصام أو حالات الجنون بوجه عام يصعب عليه تصديق هذا الاحتمال أو قبوله بأى درجة من الطمأنينة أو اليقين ، فمريض الفصام لديه اضطراب تركيبي في المخ ولديه اضطراب على مستوى الناقلات العصبية ، وهذه الاضطرابات تؤثر في قدرته

على التخطيط والتنظيم المحكم ، وتؤثر أيضا في إرادته ، وهذه التأثيرات تجعل لجريمة الفصامى خصائص معينة تتنافى مع ما هو قائم في جريمة بين مزار. إن هذا التفسير لا يستند على دليل علمي، لأن جرائم القتل المتسلسلة محليا وعالميا تؤكد عكس ذلك ولعل حوار الصحفى أيمن فاروق مع اللواء عدلى فايد مساعد وزير الداخلية لقطاع الأمن العام ،والذى كان رئيساً لفريق البحث في قضية بين مزار كان مفصلاً ويحمل التفسير الأمنى و الدليل البرهانى لحالات مماثلة^٢، كما أكدت نفس وجهة النظر تقريباً أحمد خالد توفيق^٣، كما كتب صابر مشهور^٤ " ما معناه أن الفصامى قد يرتكب جريمة عنف انطلاقاً من معتقد خاطئ في عقله كشعور بالاضطهاد أو الظلم أو الخطر من أحد، والفصامى يمارس العنف بدم بارد نتيجة تدهور مشاعره، ولكنه مع هذا لا يملك هذه القدرة الفائقة للتخطيط والتنفيذ في أكثر من مكان وأكثر من شخص دون أن يترك أثراً يدل عليه، بل الأكثر توقعاً منه أن تكون جريمته اندفاعية عشوائية وغير منظمة، وتكون رد فعل مباشر أو شبه مباشر على استثارة أو استفزاز من أحد، وتكون موجهة — في غالب الأحيان — لأشخاص لهم علاقة قريبة بالمرضى كزوجته (إن اعتقد فيها الخيانة) أو أحد أقاربه (إن اعتقد أنه متآمر عليه) أو أحد زملائه القريبين (إن اعتقد أنه يخطط لإيذائه) ، أما أن يقوم بهذا الفعل المركب شديد التعقيد تجاه هذا العدد من الناس الذين لا تربطهم رابطة فيهم رجال ونساء وأطفال صغار، فهذا ما يصعب تصديقه من الناحية العلمية والواقعية هكذا يقول د.محمد المهدي ولقد رددنا تفصيلاً على هذه النقطة في مقالنا سيكولوجية

^٢ صفحة الحوادث - الأهرام السبت ٤ فبراير ٢٠٠٦

^٣ جريدة الدستور عدد ٢٥/١/٢٠٠٦ تحت عنوان (جريمة - بنى مزار - قد يكون محمد على الشاب المريض نفسياً هو الذى ارتكبها بمفرده، و الأدلة موجودة).

^٤ جريدة المصرى اليوم عدد ٢٠٠٦/١/٧ (و الأطباء النفسيون : الاختلال العقلى لا يعنى أنه فاقد الذكاء - عنابر المذنبين فى مستشفيات الأمراض العقلية ملينة بالقتلة).

القتل من رياء وسكينة إلى بنى مزار المنشورة فى الأهرام. وقد يقول قائل: إن عملية القتل بهذه القسوة والبشاعة وعمليات التقطيع والتمثيل، وقتل الحمام تشير إلى درجة عالية من القسوة المصحوبة بالبلادة الشعرية المصحوبة بالغربة وكل ذلك يشير إلى فعل مجنون . وربما يكون شكل مسرح الجريمة هو الذى أوحى بفكرة أن يكون مجنون قد ارتكبها ، ولكن مع هذا فهناك احتمال أن يكون مرتكب الجريمة قد قصد هذا ليشنت انتباه المحققين ويضعهم فى حيرة، أو ليوجه أصابع الاتهام لوجهة معينة . أما بشاعة الجريمة وقسوتها فيمكن فهمها بدون افتراض جنون القائم بها ، فقد اعتدنا فى السنوات الأخيرة على صور بشعة للقتل من أشخاص ليسوا بمرضى نفسيين ومع هذا مارسوا العنف بوحشية لا يتحملها عامة الناس ، وربما يكون السبب فى ذلك كثرة التعرض لمشاهد العنف الدموية فى الفضائيات وعلى الإنترنت ، وفى الألعاب الإلكترونية ، حيث يقضى الشخص وقتاً طويلاً يشاهد العنف والدم والتقطيع أو يمارسه هو من خلال ألعاب الفيديو وربما يستمتع بمنظر الضحايا وهم يتساقطون تحت ضرباته ثم ينهى اللعبة وهو شديد السعادة بما حققه من قتل وإبادة ، ومع تكرار التعرض لهذه المشاهد تقل الحساسية تجاه القتل والدم والأشلاء، تقل الحساسية تجاه ما يعاينه الضحية . يضاف إلى ذلك الإحباطات الشديدة التى يعاينها كثير من الناس فتجعل نفوسهم مليئة بشحنات الغضب والقسوة والعدوان . (وأعتقد أن هذا الوصف الجميل للدكتور المهدي ينطبق على خيال وذهنية الفصامى أو من شابهوه من مصممي البرامج القاتلة الدموية أو مخرجى الأفلام الصعبة أو المجانين الذين لم تتح لهم فرصة أو رفاهية الفحص الطب النفسى)، كما أن هناك أشخاصاً لديهم ميول سادية (أى يستمتعون بعذاب الآخرين) دون أن يكونوا مرضى بالمعنى المعروف، وهناك شخصيات معادية للمجتمع

يمكنها أن تقتل بدم بارد لأى سبب من الأسباب ، وهناك من يحملون فى رءوسهم أفكارا انتقامية شديدة تؤهلهم لدرجات عالية من العنف والتدمير. أى أننا لسنا فى حاجة لافتراض الجنون فيمن يقوم بفعل مثل هذا، بل إن دقة التخطيط والتنفيذ بهذا الشكل تستبعد الجنون ، فالجنون ليس حريصا على حياته بهذه الدرجة التى يتقن فيها كل ما يفعل حتى لا ينتبه إليه أحد، فهو يقتل اندفاعا دون حساب للعواقب، وهو لا يخطط بهذه الدقة لينجو من العقاب فليس لديه هذا القدر من الحذر والحرص على الحياة الذى يتميز به غير المرضى، هنا يجب التوقف عند نقطة أن التخطيط و التنفيذ يستبعد الجنون ولا أرى فى ذلك برهاناً وإنما أراه افتراضاً ورأياً.

الجغرافيك الاجتماعى والنفسى لحادث "عزبة شمس الدين"⁵

مما لا شك فيه أن حادث عزبة شمس الدين (بنى مزار المنيا) بقدر ما أثار جدلاً شديداً من باب الشعور بعدم التصديق الكلى و الكامل أو الإنكار DENIAL وتفضيل إحالة الموضوع ، (الجريمة الشنعاء) ، إزاحته إلى منطقة السرقة ، الآثار ، الخزعبلات و ما إليه لكن ها هنا من واقع الاعتراف (سيد الأدلة)، ومن واقع الشكل الديموجرافى (الجغرافيا و السكان) و(السياسى النفسى و الاجتماعى — السوسيو جيوبولتيك Socio -Geopolitical)، الحلم بالوصول إلى خط الفقر — (المصرى اليوم الأربعاء ٢٠٠٤/٦/٤) فى القرية ٨ آلاف نسمة بينهم ١٠٠ ألف موظف فقط الجاني (حاصل على الإعدادية) تاريخه المرضى العقلى (شخص على أنه يعانى من فصام العقل — شيزوفرينيا Schizophrenia مصحوبا بهوس وسواسى و فكرة تسلطية) طريقة ارتكابه للجريمة المتسلسلة (قتله للرجال بالساطور أولاً ثم ذبحهم من منتصف الرقبة إلى الأذن ثم بتر القضيب ودفنه أو وضعه فوق السطح ثم ذبحه للحمام حينما رفر ف ، ثم خروجه ودخوله من بيت إلى بيت من السلم الخلفى فى هدوء و برود القاتل المهووس الشديد المرض⁶ " .

يطرح كل ذلك أسئلة لا بد من الإجابة عليها حرصاً على مستقبل الناس وصحتهم فى مصر بدءاً من هل هناك حصر حقيقى للمرض العقليين

5 جريدة المصري اليوم - المؤلف - ٧ يناير ٢٠٠٦
6 الأهرام ٢٠٠٦/١/٤

في مصر ؟ هل هناك رعاية ومتابعة لهم أم لا ؟! هل هناك نظام التمريض المجتمعي الذي يذهب إلى الناس في بيوتهم، يتابع أحوالهم، يعطى المريض حقناته الوقائية الشهرية و يعلم أهله و أهل عزبته علامات الانتكاسة و الخطر. ويرشد على علامات التوقف عن تناول الدواء وخطورتها الشديدة (مثلما حدث ذلك؟) في حادث بنى مزار الشديد الدموية حيث امتنع المريض عن تناول الدواء لمدة ثلاثة أسابيع قبل ارتكاب الحادث"⁷.

أولاً هذا القتل الفريد من نوعه، و كأنه جاء تراكما وتتابعاً وتسلسلاً لما قبله (بدءاً من المرأة والساطور، إلى تلك التى خمدت زوجها ورقصت مع عشيقها فوق جثته ثم مارسا الجنس وبعدها صلبى القاتل في دار السلام، على الذى مزق جسد عروسته إلى نصفين بعد حوالى ثلاثة أسابيع من الزفاف، إلى الممرضة التى خدرت زوجها وشرحته بشفرة الخلاقة إلى نصفين، تخلصت من نصف وتركت نصفه الآخر في البانيو، و قبل ذلك بعامين ذلك الذى قتل أم صديقة المدمن ليسرقها و يشتري بالمال ما يخدّره و يذهب بما تبقى من وعيه، وتلك فى (محافظة البحيرة) التى طعنت زوجها مدمن الجنس و الفياجرا حتى الموت، إلى قاتل بناته الخمس فى سوهاج، وقاتل عائلته بأكملها فى البساتين، إلى تلك التى سلق لحم زوجها بعد ذبحه ...) وانتهاءً بفضاظة العيش وتداخل كل موبقات المجتمع، إلى الذهن المريض المعتل فى تصورات انتقامية، ولعل الاجتهاد الذى يتبادر إلى الذهن هو أن هذا الشاب (العاطل) يحسد كل هؤلاء (العشرة) على حياتهم وعلى رضاهم بالمقسوم. حسد الرجال على أنهم متزوجون وعلى استخدام أعضائهم التناسلية وكذلك النساء أفسد أعضاءهن عقاباً لهن، و حتى ذبحه

⁷ نفس المصدر السابق

للحمام ربما جاء اعتراضاً على رفرفته، وعلى حياته، فلا يحق له أن يحيا ويرفر على موتى أحياء.

أين هو هذا القاتل أياً كان ذلك الذى اعترف أو غيره (لأن الثقافة المصرية ترفض الأدلة وسهولة الاصطياد والاعتراف وتؤمن وتتلذذ بتعقد الجريمة وتشابكها على طريقة أجاثا كريستى)، ولأن هناك اعتقاداً بأن الداخلية قد أمرت رجالها بسرعة للتحرى والقبض مما أشعر الناس بروح الفيركة، إن هذا القتل الجديد، غير العادى، المتعمد مع سبق الإصرار، لا ينفك بعيداً عن ثقافتنا الحالية المشوشة الفسيفسائية (متعددة الألوان و الأشكال) الفاقدة الهوية ، المائعة الهدف و المعتمدة الرؤية ؟ ! ثقافة مجتمعية مشطورة متداخلة متشابكة مع التعدد و التشتت ، المزج و الخلط بين القنوات الإباحية ، الفضائيات المفتوحة ، الأغاني الهابطة ، الصحف الفارغة ، الإخباريات المدمنة لمشاهد العنف و لروح التآمر و عذاب القبور و مآسى المؤامرة، فأصبحنا كمجتمع الآن (٢٠٠٦) وكأننا نجري لحظياً جراحة ترقيعية لإضافة أجزاء صناعية إلى بنية المجتمع (و لعل الرمز المقابل هنا هو بتر القاتل لأعضاء الرجال والحفاظ عليها و إذا كانت أرضية البيت من تراب فيرميها على السطح؟!) ، وكان ذلك الكابوس الذى حدث فى غزبة شمس الدين نوعاً من التكيف المباشر و المروع لعنف و شظف الحياة اليومية، وكأنه رغم الخوف و الرعب و الهلع نوعاً من الإدمان على العنف ، ربما يسدّ الرمق و يطفئ الظما فى مجتمع مصر الحديثة، بمعنى ظهور ما يمكن تسميته بـ (الجال المريض ، المنطقة الموبوءة) فى المجتمع ، انبثاقها تطورها حتى آل الأمر إلى ما آل إليه فى بنى مزار، هناك حميمية بين صفحات الصحف فى مصر — مثلاً — و جموع الناس الفقيرة فى غزبة شمس الدين (البطالة حوالى

٨٥%^٨، وكأن بعض الناس موجودون في هذا القاتل، والبعض الآخر هو تلك الأسر و أفرادها الضحايا العشر ، لنا هنا أن نسأل أسئلة بدائية جداً ، ربما ننعطف عن إجابتها قليلاً أو نفرج كثيراً لاستيضاح الأمر ؟!

ما الذى كوّن هذا القتل و هذا القاتل ؟ و لماذا و هكذا وكيف أصبح ؟! كيف ولد وترى وتعلم و نشأ ، وهل كان على دراية بالعنف الدينى و عنف الانتخابات البرلمانية القاتل ٢٠٠٥ مثلاً ؟! إن الإجابة على كل تلك الأسئلة ليست سهلة على الإطلاق حتى مع الاعتراف ووجود الأعضاء التناسلية المتبورة . إن القاتل المتسلسل (بمعنى أى قاتل سواء كان يعانى من الفصام أم لا) لديه ذلك الدافع القهرى التسلطى للعنف ، وكأنه يتمزق بين قطبى (الجهل و الفقر و المرض) و (الجنون — بكل لوعته و مأساته و جحيمه) ، إن التعريف الجنائى ، الطبى النفسى للقاتل المتسلسل يكاد ينحصر فى مصطلح (تعريف الحدث) Naming Event ، تبدو هنا المسألة مركبة للغاية : كيف ؟ بالفعل — يمكننا تعريف حدث عزبة شمس الدين ببنى مزار المنيا فى مصر ٢٠٠٦ ؟ المسألة أعقد من تفسير بسيط للدخلية ، أو للمستشفى العقلى لأن المصطلح و المفهوم لا (يقنن ولا يصنع)، لأن إطلاق الأحكام على عواهنها يضع على أعناقنا كلنا طوقاً حديدياً ، فكأننا ننظر إلى شخص واحد (قاتل ، سفاح ، مجنون، مجبول) نسكب فيه كل سوءاتنا و عيوبنا النفسية ، الاقتصادية ، السياسية ، التعليمية ، الدولية ، والاجتماعية ، كل أفعالنا المشينة ، تجاوزاتنا ، حماقاتنا ، خيالاتنا المعلنه و المكتومة الدفينة و المريضة ، كل نواحي قصورنا فى حق أنفسنا كأفراد و كجماعة ، كدول وكمؤسسات ، كصحة و مرض ، كأسرة و

أرض و غذاء وهواء و كساء و لحم و دم و أعصاب و يبدو الأمر هنا كدورة فارغة من الممكن ببساطة ربطها بحريق قطار الصعيد و حريق مسرح بين سويف و كل منهما على بعد كيلومترات من عزبة شمس الدين .. نعم . هذا القاتل يرقد في بطن المجتمع الرخوة ، يشير بأصبعه أو بساطوره أو بسكينه ليبتز و يقطع و يشوه الأحلام و الحمام والرّضّع ... إنه خارق مخترق للبناء الاجتماعي المعطوب (مجتمع ملء بمنظمات حقوق الإنسان و هيئات نسوية و منظمات دولية و غيرها) ، ولا أحد يهتم بظاهرة العنف المتنامي تغرقنا البرامج الهوائية والأرضية والصحف السيارة ، تغرقنا بسيل من الانطباعات وجنرالات العلوم الوصفية وكأنهم يرسمون لوحة (استكش) للشيطان ، و هم كلهم و نحن كأننا الملائكة نحاول أن نداوى بالبلسم الشافي الجروح الغائرة، ترى هل نخاف و نرتعد و نوصد أبوابنا خشية أن يكون الجار (فصامياً نادراً سفاحاً) ينتظرنا . أم نترل على السلام خوفاً من لقائه في الأسانسير، أو خوفاً من أن يصبح أحدنا ، أم ناقش تركيبة الوزارة الجديدة (هل نتظر الزبد من خض الماء) ،هل لوزير الصحة الجديد أن ينجربنا عن مشروع تطوير الصحة النفسية في مصر الذي تدعمه فنلندا منذ عام ٢٠٠٠ ؟ ،هل هناك مسح صحي إحصائي للمرضى النفسيين في مصر؟ ، هل هناك ميزانية حقيقية للدواء النفسى الذى أصبحت أسعاره أغلى من اللحمه .بمراحل؟ هل الحال بمستشفياتنا العقلية (تمام) هل هناك مواكبة للعلاج الحديث (مجتمعياً ومن خلال الفضفضة العلاجية المهمة والمهملة) ، هل هناك مثلاً (حملة قومية ضد الاكتئاب)، هل هناك دراسات تربط بين الواقع بكل مرارته و اضطرابه و تشاؤمه و بين ظهور العنف بهذا الشكل أما أنها فقط واصفة محللة ؟ ، هل هناك بحوث لدراسة المرض العقلى بهذا الشكل ، اختلافاً و تنوعاً ، هل يمكن أن تصبح الأمور أفضل و لا نرى

رجلاً عارياً في وسط الطريق العام مغطى بالوساخات و كل أنواع الفضلات الآدمية لأنه (كان ينظف بالوعة المجارى) نعم — في القاهرة في ٢٠٠٦ و هو يعتبر موظف عام في عصر القرية الذكية ، و الحكومة الذكية ، و ثورة الاتصالات و سهرات رأس السنة التي تفوق كل وصف و كل حَدّ .

إن كل هذا العنف في عموم مصر ما هو إلا عرض و انعكاس للأزمات الاجتماعية ممتزجة بكيمياء المخ العصبية في حيرتها و نزوعها إلى التعكير الشديد ، هل لنا أن ندرك و أن نعلم يقيناً أن البيئة المحيطة بكل سلباتها و توحشها تؤثر على كيمياء المخ العصبية فتولد الجنون و الحماقة و القتل و الاغتصاب لدى أفراد ليس لديهم أى استعداد وراثي و لا شخصي . بمعنى انبثاق شريحة جديدة من الناس يتكوّن فيها الخطر و الظلم و الحرمان، هل غمك شبكة من (المعرفة و القوة) تمكّننا من الرصد ، والعلاج و الوقاية ممن يستمتعون بإراقة الدماء و بالرشوة و الفساد كذلك ، إن ذلك التوتر المجتمعي الذي نعاني منه الآن شديد جداً ونحن نزحف بالفعل على أرض ثلجية ، ببطن رخوة و عضلات واهنة !! وهم هناك في مصر الأخرى يحتفلون بافتتاح فيلم (رعب) باسم (أجنبي) وسط القاهرة ، اندفع شاب شاذ نفسياً جنسياً وسط الجمهرة إلى ممثلة فاتنة ودسّ فيها في موطن عفتها أصابعه مما أحدث نوبة من الفزع . هل هذا الشخص (رغم أنه ضرب بالشيبش) مختلف عن قاتل بنى مزار وهل هو مختلف عن سائق أتوبيس النقل العام الذي تمهل ثم توقف وسط الطريق العام ليصبص هو والكمسارى و الركاب وليحملقونا في غادة حسناء تمشي مع كلبها على الرصيف المقابل؟!، أم أن السلوك واحد ، أم هو مشروع السفاح الجنسي يقتال الحسنات بأصابعه أو بساطوره؟! ترى كم قنبلة موقوتة و كم لغم مدفون و كم مشروع لألم

وحزن وانقباض و تشاؤم ؟ لا نريد أن نعد و لكن نريد أن نرصد وأن نعالج
وأن نقاوم و أن نخطط للوقاية. ما أمكن ذلك ...

سيكولوجية القتل و القاتل بين رياء وسكينة و بنى مزار"^٩

(كان شعرها أحمر، وثوبها رمادياً دون أكمام . كان ذراعاها
بيضاوين ويذاها مصفرتين من عصير اليرقوق . وقف غرنوى منحنيّاً فوقها
ممتصاً بأنفه شذاها الذى أصبح الآن نقيّاً لا شائبة فيه، شذاها المتصاعد من
عنقها وشعرها وفتحة ثوبها، تاركاً إياه لينسان إلى داخله كهبة ريح رقيقة.
لم يشعر بمثل هذه المتعة من قبل أبداً. أما الفتاة فقد سرت القشعريرة في
جسمها، لم تره بعينيها، لكن إحساساً بالرعب انتابها، واجتاحها زمهرير
غريب، كذلك الذى يشعر به الانسان حالمّاً يعاوده رعب قديم منسى.
أحست بتيار بارد يسرى في ظهرها وكأن أحدهم قد فجأه باب
قبو هائل بارد وضعت سكين المطبخ على الطاولة، ضمت ذراعيها إلى
صدرها والتفتت.

تجمدت من الذعر عندما رآته وهو يمد يديه يهدوء ليحيط عنقها.

لم تحاول أن تصرخ أو أن تتحرك أو حتى أن تقاوم. أما هو فإنه لم
ينظر اليها.

لم ير وجهها الناعم الموشى بالنمش، ولا شفثيها الحمراوين، ولا
عينيها الخضراوين الواسعين المتألفتين، فقد أغلق عينيه باصرار وهوة يخنقها،
اذ لم يكن ثمة ما يقلقه سوى فقدان ولو ذرة واحدة من شذاها.

عندما ماتت وضع جسدها على الأرض وسط بذور البرقوق ثم مزق ثوبها، فاندفع تيار الرائحة ليجتاحه بشذاه. هجم بوجهه على بشرتها وأخذ يحركه بمنخره المفتوحين عن آخرهما متنقلاً من البطن إلى الصدر، صاعداً حول الوجه، متغلغلاً في الشعر، عائداً إلى البطن، هابطاً إلى فرجها ففخذها، إلى ساقها البيضاء. تشمها من رأسها حتى قدمها، جامعاً آخر ما تبقى من عبقها عند الذقن والسرة وطية الساعد.

عندما انتهى من تشمها حتى الثمالة بقي لرهة يدور حولها محاولاً استعادة ذاته المستغرقة فيها كلياً. لم يبق أن يضع منه شيء من عبقها، ولذا كان عليه أولاً أن يغلق مزاليجه الداخلية بإحكام. ثم ففض ونفخ الشمعة فأطفأها. (بتصرف عن رواية — العطر لزوسكيند).

بعيداً عن الأدب ، وقريباً من الواقع ، حَدَّث ما يحدث و سيحدث وسط ذهول الناس وعدم تصديقهم أن المقبوض عليه هو المتهم الجاني في مذبحه بنى مزار . ما معنى (الهاتف) الذى قاده إلى ثلاثة بيوت غير متلاصقة فى شارع واحد؟! وكأنها تلك اللحظة الغريبة ، وذلك الاندفاع الغامض الذى حركته بشكل هندسى جراحى منمق ، وكأنه الجزار يفصل الذبيحة ، أو الترزى يجرح القماش ، فبدا كما لو كانت هناك قوى خفية تحركه (قوة خفية مرضية عقلية بحنة لها كيميائ الضلالات العنيفة وقوتها) ، لينهى عملياته الشنعاء بكثير من الدماء و الضحايا دون أدنى دافع أو إحساس بالذنب .

السؤال الآن؟! لماذا عدم التصديق عند معظم الناس ؟ وهل صدق الناس — زمان — أن امرأتين(ريّا و سكينه) تفعلان ما فعلناه؟! ... لتأمل سوياً ذلك الوصف الرائع لصلاح عيسى (ولو أن أحداً من هؤلاء، أو أولئك

قد قام بواجبه، لتخلقت أماناً صورة حية، لابنتي "على همام" منذ كانت كل منهما نطفة، ثم مضغة، ثم علفة، ثم اكتست عظاماً ولحماً، ثم خرجت إلى الوجود طفلة بلا ملامح أو ذاكرة، تبكى وتضحك، وتلهو، وتخاف من الظلمة، تلطم ثدى الأم وتلوذ بأحضانها، وتحبو في باحة الدارين صغار الدجاج والأوز، وتكتشف الحياة من حولها بمرح ودهشة، وتعثثر على لسانها الكلمات). ويستطرد صلاح عيسى التابع التاريخي الاجتماعي قائلاً: (وما تكاد تدرك الدنيا من حولها حتى تنتهى طفولتها فجأة فتستيقظ عند الفجر، لتشعل الفرن، وتكس الدار، وتحلب المواشي، وتقدم الطعام للدجاج والبط، وتسحب الجاموسة إلى الحقل، وتستحثها على إدارة الساقية وتعود عند الظهر لتحمل الطعام إلى أبيها، فإذا ما جاء الغروب سرحت وراء المواشي، تتلقى روئها بين كفيها. لتعجنه بشيء من التبن وبكسر من الحطب ثم تنشره في الشمس ليحف فيصبح وقوداً. إلى أن يأتيها "عدلها" فتخضب كفيها وقدميها بالحناء. وتبيض وجهها بشيء من دقيق القمح، وتكحل عينيها وتصيغ شفتيها. وتغني لها الصبايا في ليلة الحنة، ثم تشيعها الزغاريد في ليلة الدخلة، إلى بيت زوجها، ومعها صندوق أحمر، تضع فيه — ككل عروس — حاجياتها، فإذا ما فتحت عينيها في "يوم الصباحية" عادت لتدور — كالنحلة — طول اليوم، وطوال السنة، وطوال الدهر. لا يقدها برد أو مرض أو ألم).

إن غرابة حادث بنى مزار وترتيبه جاء جديداً على المجتمع المصرى ، لكننا نسينا تغيرنا وتبدلنا وتطورنا عبر السنوات، ومن هنا فرمما كان النشوء و الارتقاء في نوعية الحدث. ثانياً: عدم ثقة الناس في الحكومة في أى أمر (ولهم أسباغهم) وإيمانهم العميق بأنها تسعى دائماً إلى التلفيق (وهنا تظهر كوكبة من المشككين والمتشككين في أى شيء و كل شئ)، ثالثاً: فكرة

القصاص، فإذا كان الجاني فصامياً فلسوف يودع بالمستشفى للعلاج مدى الحياة، بمعنى أنه لن يُعدم، و بالتالى فلن يشفى غليل أحد، و ستظل المرارة في الحلق، و الرغبة المشتعلة في الثأر قائمة. رابعاً: الخوف من بكرة، من احتمالات تكرار ما حدث أو توقعه في أى مكان ، خامساً : عدم التصديق من باب الإنكار (معقولة ..ده يحصل لنا وعندنا !؟) سادساً : عدم فهم معنى مرض الفصام العقلى (الشيزوفرنيا) ، و الوقوع في فخ الخطأ و الإصرار في كل أجهزة الإعلام على أن الرجل ذو (شخصيتين) (انفصام في الشخصية) البعيد تماماً عن (الشيزوفرنيا SCHIZOPHRENIA) المصطلح الذى ابتدعه بلويلر ١٩١١ حيث إن SCHIZO تعنى التشقق و التصدع ، الانغلاق أو الانفصام ، و PHRENIA تعنى العقل أو الذهنية (وليس الشخصية) ، ويشمل الاضطرابات التفكك بين عمليات العقل و العمليات الوجدانية حيث ينفرد عقد نظامها إلى حد كبير ، ومن ثم يحدث التفكك التنظيمى في بنية الإنسان (سلوكه ، تفكيره ، وجدانه ، ونفسه)، ومن هنا يمكن تفسير (الخلل) ومن أعراضه الهلوسات والضلالات (المعتقدات الراسخة الخاطئة التى لا تقبل الشك من صاحبها و التى هى بمعزل تماماً عن الواقع ولا يمكن تفسيرها في إطاره) ، وكأن المتهم الجاني كان سعيداً لدى عودته إلى بيته بعد القيام بمهمته المزدوجة كمنتقم من الحياة و الأحياء أياً كانوا ، وكخالق لحالة الموت ، فيبدو وكأنه الأسطوري الذى تخلص من عشرة بضربات الساطور ذبحاً بالسكين ثم قطعاً وتخرياً لأعضائهم التناسلية ، ثم (احتفلت) به أجهزة الإعلام ، وتتويجه على عرش الأخبار الأخرى فجأة ، فصار حديث المدينة .

سابعاً: الجهل بأنواع القتل ، أو عدم القدرة على التمييز بينها ، فهناك فرق واضح بين (قاتل ذكرى المنتحر) في دراما الزمالك الشهيرة

السريعة ، وبين السارق الذى يكتشف أمره فيقطعن مرة واحدة بالمطواة في سويداء القلب ويهرب ، وبين المستفز الغاضب لمن ضايقه، كسر عليه ، سبه بأمه فنال منه في رقبته مثلاً أو هشم رأسه فأرداه قتيلاً ، وهناك قاتل الثأر و الشرف ، ولا ننسى أن عنابر المذنبين في مستشفيات الأمراض العقلية مليئة بالقتلة .

السؤال الذى يسأله الناس الآن ! كيف برجل هادئ لا تبدو عليه علامات الخبل أو الإجرام أن يأتى بفعلة دموية كهذه؟! إنها في المذنبين في مستشفيات الأمراض العقلية مليئة بالقتلة السؤال الخبل أو الإجرام أن يأتى بفعلة دموية كهذه؟! إنها في تفسيرها العلمى مزج بين (العملية الفصامية) و (غضبه المكتوم) ، بجانب أن معظم تلك الحالات يكون فيها القاتل (منقوعاً) محقوناً محتقناً بالكراهية و مربوط من (ساسه لراسه) بجبل ملئ بالعقد المتوترة و القلقة ، ومع هذا فإن غالبية مرضى الفصام ليسوا عنيفين ، إنها تلك الروح غير المستقرة ، الإحساس العام بالتصدع القادم ، الرهبة من زلزال النفس وعنفها ، ترقب لحظة الانهيار الكامل ، ثم الراحة الصافية المنشودة ، التوق إلى الانعتاق من عالمه الجوانى الجهنمى . هنا لابد وأن نفهم تلك الرغبات الدفينة المحمومة لقتل الآخر (وغير المرتبطة إطلاقاً بأى منظومة ضلالات) ، وأحياناً ما تكون مصحوبة ببعض الاستبصار، وكأنه هجوم (الجنون) لا هجوم (الجنون) على الأبرياء وهم في سابقهم العميق ، وعلى الرغم من ضرورة التفرقة بين (القاتل الجرم) و (القاتل الفصامى) ، فلا بد وأن ندرك أن الفصامى ليس معصوماً من انفعالات الغضب و الغيرة و الثأر و الشرف ، والأخرى التى تدفع إلى القتل.

غالباً ما يقتل الفصامى أهله وعشيرته و أبناء قريته ، فى حين أن القاتل المكتئب يقتل أولاده .

أخيراً فإن المنظومة الجنسية للفصامى — بشكل عام — مضطربة ، وتبين إحدى الدراسات المهمة أن ٢٧% من الفصامين يعانون من ضلالات وهلاوس جنسية بل إن بعضها ينحصر فيما يسمى بالضلالات والهلاوس التناسلية GENITAL HALLUCINTIONS & DELUSION .

وفى عودة متقاطعة إلى رياً وسكينة كان هذا الوصف البديع فى كتابه العميق"١١" (ولو أن أحداً من دارسى موجات الهجرة الداخلية، كان قد اهتم- قبل ذاك أو آنذاك- بـ"تغرية بنى همام" لعرفنا متى.. ولماذا غادرت "ريا" وسكينة" مسقط رأسيهما فى "الكلمح" فى أقصى الجنوب بالقرب من "أسوان"، حيث الفقر والجذب والوباء ونقص القوت- ولتبعنا خط سيرهما الطويل، بين القرى والعزب والكفور، والمدن الصغيرة المتناثرة على شاطئى النيل، تحليان ضرع الأيام.

وتبحثان عن لقمة تدفعان بها غائلة الجوع أو لحظة راحة يستتيم فيها ظهر كل منهما لحشية ناعمة، تكف بعدها سلسلة ظهرها عن ذلك التضاضط المؤلم، إلى أن تحط بهما التغرية- دون إرادة منهما- فى "الإسكندرية"، حيث البحر والنسيم وأضواء الكهرباء والشوارع الواسعة النظيفة، والخبز الطرى، والطعمية الساخنة وعلب "البولوييف" و "السردين" و "الحلاوة الطحينية"، وجحافل الأجانب من الإنجليز والفرنسيين والإيطاليين واليونانيين.

فلا يزيد نصيبهما من المدينة الجميلة عن المقدر لهما منذ الأزل:
حجرات مظلمة ضيقة في حوار وأزقة أكثر ضيقاً، تتلوى على نفسها
كالثعابين، وتفرح منها نسائم الفقر وروائح العفونة تضيئها مصابيح من
الصفائح الصدئة تشعل بالنفط. ويتزوى في ركن كل منها "زير" من الفخار
يملاه السقاء بقربة ماء كل يومين أو ثلاثة. وتحتشد بالآف من الجنوبيين من
أمثالهما. قذفت بهم يد الله في التجربة، وحملتهم التغرية من قرى الصعيد
المعلقة في بطن الجبل، أو جزائره المتناثرة في قلب النيل، إلى الإسكندرية،
هرباً من ثار أو فراراً من جوع، أو أملاً في الاستمتاع بشيء من لين الحياة..
فتاهتا في المدينة الواسعة، وطاردتها التغرية في أزقتها الطينية الضيقة،
واضطربتا طول سبع سنوات مريرة. بين "المسكوبية" و "سوق الجمعة" و
"زاوية العطش" وحين يحط بهما الرحال- أخيراً- في "حارة النجاة" تجدان
المقدر والمكتوب في انتظارهما. وينفجر اسمها- كالقنبلة- في سموات
الوطن. وتقودهما صدفة تعيسة إلى حبل المشنقة. وينتهي الحلم بلين الحياة.
إلى موت بلالين.

أما الناشر المجهول، الذي استغل اهتمام الناس الفائق عن الحد.
بمعرفة صورتيهما. فطبع عشرات الآلاف منها.

تحاطفها الناس في أيام قليلة. وريح من توزيعها مئات الجنيهات.
فقد اكتفى بذكر اسم كل منهما تحت صورتها باللغتين العربية والفرنكية،
ولم يضيف إلى ذلك شيئاً. ربما لكي لا يصادر على حق الناس في أن
يتخيلوهما كما أردوا: مجرد وحوش هربت من الغابة، وظلت تعيث في الدنيا
فساداً، إلى أن وقعت في المصيدة.

ومع أن الصحف^{١١١} التي عاصرت بروز أسمى "رياً وسكينة" لم تقصر في إشباع فضول المصريين لمعرفة أبنائهما بل وخصصت كل منها زاوية يومية ثانية في مكان بارز لتلك الأبناء على امتداد شهرين كاملين، إلا أنها لم تقصر - كذلك - في نشر كثير من الوقائع المغلوطة أو الناقصة أو المختلفة. ذلك أن إحساساً عميقاً بالعار، مما ارتكبته "ريا" و"سكينة" كان يغلل روايتها للوقائع، إذ بدا لها أنهما شاهدتان على نقص الرقى الاجتماعي للمصريين، وأن صدقها في رواية الوقائع ربما يستغل للتدليل على عدم كفاءتهم لحكم أنفسهم بأنفسهم، وكانت المناظرة بين الوطنيين المصريين المطالبين بإلغاء الحماية البريطانية على بلادهم، وبين غلاة المستعمرين تدور آنذاك، حول هذا الموضوع تحديداً.

وهكذا تواطأ الجميع بالصمت أو بالجهل أو بسبب الإحساس العميق بالعار، على تحويل "ريا" و"سكينة" إلى رمز أسطوري للشر. لاصلة له بدوافع مافعلته، وأغمضوا عيونهم عن كل ما عدا ذلك، فقد كانوا في حاجة إلى رمز للشيطان فوجدوه، وإلى صورة تجسد الشر المطلق الطليق فطبعوا عشرات الآلاف من صورتيهما وأخذوا يتبادلونها وينسجون حولهما قصصاً وأساطير مرعبة، جعلتهما في النهاية، قريتين لتلك الشخصيات المرعبة، التي طار صيتها في زمانها وظل طائراً إلى أن أدرك زماننا، مثل أمنا الغولة^{١١٢} وفرانكشتين^{١١٣} و"دراكيولا".

وربما لهذه الأسباب كلها، دخلت الاثنان التاريخ، دون أسانيد - أو تفاصيل - كافية، فلا شجرة أسرة، ولا شهادة ميلاد، ولا تاريخاً اجتماعياً، ولا تقريراً من قصاص أثر، حول ما فعلتا أثناء التفرقة أو ما فعلت

بهما التغرية، فاستباحهما الجميع، واتخذوا منهما رمزاً لما يريدون، وليس لما كانا يرمزان إليه بالفعل: الآباء الذين يريدون تخويف أبنائهم من النوم دون غسيل الأسنان، والأمهات اللواتي تردن إخافة بناتهن من شر الكك، ومؤلفو الأفلام السينمائية والمسرحيات الهزلية، الذين يربحون من وراء تسليّة جمهورهم بشيء من مغامرات الشرطة في مطاردة المجرمين، أو من محاولة دغدغتهم بشيء من كوميديا الرعب، فيضحكون على أنفسهم وعلى الآخرين مع أن الذى يستحق الضحك منه، هو مؤلفو تلك الأفلام والمسرحيات"١٢.

لكن ... ترى هل يمكن محاسبة (المجنون) على جريمته؟! نعم ! أحياناً ، حينما يكون ثابتاً ومؤكداً أنه فى كامل وعيه أو بدافع محدد مثل السرقة أو الانتقام وليس تحت تأثير الضلالات أو الهلوسات . وبالطبع فإن إثبات كل هذا من عدمه مسألة شاقة جداً ، وقد تكون "مستحيلة" تحتاج إلى "رصد اللحظة" ، أو إلى منظر يرى المخ فى عملياته الذهنية الشاقة . يحتاج الناس الذين عاشوا المأساة فى بنى مزار، و لربما كان برنامج لعلاج جمعى لتوتر و كرب ما بعد الصدمة لازماً ، نحتاج إلى تحديد دقيق لمسألة الخطورة و الخطرين ، الأمن و الأمان فإذا كان الخفير فى عزبة شمس الدين قد مات منذ سبع سنوات، فلماذا لم يعين غيره ، فبصرف النظر عن أن صحبته (مين هناك) قادر على ردع فصامى عن القتل أم لا فهى كانت مريحة و باعثة لبعض الهدوء، نحتاج إلى مسح للحالة العقلية فى عموم مصر.

التقرير النهائي

تحت عنوان : التقرير النهائي: المتهم بارتكاب مذبحه بنى مزار سليم عقلياً،"١٣": أكدت التقارير الطبية التى أعدتها اللجنة المشكلة من كبار أساتذة الطب النفسى، عدم إصابة محمد على عبد اللطيف المتهم بارتكاب مذبحه بنى مزار بالمنيا، وقتل عشرة أفراد من ثلاث عائلات مختلفة أوائل يناير الماضى بأى مرض عقلى.

وكانت اللجنة التى قامت بالكشف على المتهم قد أنهت إلى أنها تأكد طوال فترة الملاحظة ثبوت عدم إصابته بمرض عقلى.

أشارت مصادر بالنيابة العامة، إلى أن اللجنة الطبية أوضحت أن المتهم، مهتم بمظهره العام ونظافته الشخصية ومتعاون ويجب عن الأسئلة بصورة عادية وهادئ ولم تظهر عليه تصرفات تدل على وجود هلاوس سمعية أو بصرية أو تشوش فكرى.

وذكرت اللجنة الطبية فى تقريرها، أن تعرض المتهم لنوبات عصبية وهياج فى بعض الأحوال، يرجع للاستشارة والانفعال العاطفى، خاصة عندما يتذكر أحوال والديه وأخواته ونتيجة إحساسه بالوحدة والغربة حيث تعتبر كل تلك الملاحظات طبيعية، يمكن حدوثها فى مثل هذه الظروف.

ويبدو هذا التقرير مهماً وواقعاً تحت تأثير الضغط الإعلامى المكثف ، مما يسمى علمياً بالـ Halo Effect ، بمعنى أنه الذى يفحص (شخصاً ما) (مريضاً أو متهماً) وتكون لديه فكرة مسبقة عنه وعن الحادث من

أطراف آخرين يكون مهيماً لاتخاذ قرار أو الميل إلى تشخيص معين ولم يوضح التقرير عما إذا كان المتهم قد خضع لعلاج دوائي أم لا أثناء فترة احتجازه مما قد يكون مؤثراً على حالته العامة ونحن بالطبع لا نكذب التقرير ولكن نتساءل عن معنى (النوبات العصبية) وحالات (الهياج) في بعض الأحوال، وماذا عن التاريخ المرضى السابق وعلاجه لدى مستشفى بالقاهرة وأخصائي نفسي بالمنيا؟!

وإذا لم يكن هو القاتل فمن ؟ وما هي مصلحة الأجهزة الأمنية في إصاق التهمة به ؟ وإذا كان هو القاتل (وحيداً) فهل سيحاكم بتهمة على ضوء انخفاض درجة المسؤولية الجنائية لديه Diminished Responsibility

وفي هذا الإطار وضمن كل التوقعات وحيث صارت القضية مادة صحفية شيقة ، طلع علينا النائب طلعت السادات (حسام صدقة - المصرى اليوم - ١١ مايو ٢٠٠٦) بأنه قد تقدم بطلب إحاطة لوزير الشؤون القانونية و البرلمانية ، و اللواء حبيب العادلى وزير الداخلية عن أسباب تصريح الحكومة فى الإعلان عن أن مرتكب جريمة بنى مزار (مختل عقلياً) وتسأل طلعت السادات ماذا فعلت وزارة الداخلية بعد إطلاعها على التقرير الطبى (الذى أثبت سلامة قواه العقلية وما مدى ارتباط جريمة بنى مزار بالتشكيل العصابى المقبوض عليه أثناء التنقيب عن آثار بقرية بيلا المجاورة لقرية عزبة شمس الدين) التى تمت فيها المذبحة؟ (وهو بالفعل سؤال مهم للغاية يستحق النظر فيه ويستحق الإجابة عليه علنياً وفى كل الصحف ووسائل الإعلام) ثم يتسأل طلعت السادات عن (؟) حقيقة سفر الأعضاء البشرية التى قيل أنها أخذت من جثث المجنى عليهم إلى إسرائيل؟ (واعتقد أن مسألة السفر ، وإقحام إسرائيل فى الموضوع) طريفة فى موضوع مؤلم ومحير

، و النائب طلعت السادات معروف بقفشاته فهو الذى طلع علينا فى برنامج (القاهرة اليوم - قناة الأوربت) باقتراح أن يذهب جنود الأمن المركزى إلى الحدود ليمسكوا أو (يعكشوا) على حَدِّ قوله الطيور المهاجرة الناقلة لفيروس الأنفلونزا (....).

من ناحية أخرى طالب مركز النديم "١٤" بإعادة التحقيق فى مذبحه بنى مزار، وادعى أن المتهم تعرض للتعذيب .. وقضى ٤ أشهر بمستشفى العباسية مقيد اليدين، وأن الدافع للجريمة سرقة الآثار و"فتح الكتر" .. وأن العصاة لا تزال مطلقة السراح

طالب مركز النديم (للعلاج والتأهيل النفسى لضحايا العنف) بإعادة فتح التحقيق فى مذبحه بنى مزار بواسطة قاضى تحقيق محايد يضمن عدالة ونزاهة عملية التحقيق على أن تشمل التحقيقات على وقائع جريمة التعذيب التى تعرض لها المتهم محمد على عبد اللطيف المحبوس على ذمة القضية (حسب قول المركز)، و طالب أن يستدعى فى تلك الجريمة الأخيرة جميع من تورطوا فيها. بما فى ذلك كبار لواءات الداخلية ومساعد الوزير سواء من قاموا بتلك الجريمة أو من أمروا بها أو من سكتوا عنها (ولم يقدم دليلاً يستند عليه فى تلك الادعاءات).

وشدد المركز فى تقرير له على ضرورة فتح القضية من جديد ومناقشتها بهدوء، بناءً على ما توفر من معلومات جديدة، خاصة بعد صدور تقرير الطب الشرعى رقم ٢٠٠٦/١٣٨٧ وتقرير المعمل الجنائى وتقرير شرطة الإنقاذ النهري، وأخيراً بعد صدور قرار اللجنة الطبية النفسية.

وشكك تقرير مركز الندم في رواية وزارة الداخلية في القضية وما أعلنته للرأى العام.

وقال: إن الداخلية أعلنت القبض على محمد بعد ٤ أيام من الحادث، وادعت أنه ضبط أثناء محاولته الهرب، بينما تبين من عدة مصادر أنه قد تم القبض على محمد وأسرته بعد ساعات من ارتكاب تلك الجريمة، مشيراً إلى أنه التكتّم على الخبر لحين الحصول على اعتراف محمد بالجريمة أو الموافقة على "شيل" القضية على حد تعبير مساعد وزير الداخلية لوالد محمد.

وأضاف التقرير:

تم القبض على محمد بعد أن تطوع شخص يدعى عصام بتبليغ الأمن أن محمد سبق علاجه من مرض نفسى، فقام الأمن باحتجاز محمد في بيت عصام لعدة ساعات، حيث تم التعدى عليه بالضرب المبرح على مرأى ومسمع ثم إيداعه حجر قسم الشرطة.

وواصل التقرير على رغم م ادعاء الداخلية بأن أخته قد غسلت ملابسه من آثار الدماء وجدت على "جلباب" محمد، وأنها مطابقة للبصمة الوراثية لإحدى الضحايا.

وزاد أن الداخلية ذكرت في البداية أن الأداة الجنائية "بلطة وساطور" وقد تم إلقاؤها في التربة، ولكن جاء تقرير شرطة الإنقاذ النهري أنه بالبحث عن الأداة في التربة الإبراهيمية على مسافة ٧٠٠ متر طولاً و٢٠ متراً بعرض التربة و٣ أمتار بعمقها، وكذلك بالبحث في المصرف المقابل والمودى لمتزل الجاني لم يسفر البحث عن شيء.

وشدد التقرير أن الأداة الجنائية ظلت تحت يد الشرطة قبل وصول النيابة وتساءل: هل هناك احتمالاً أن الشرطة قد عبثت بالأدلة الجنائية،(ونحن بدورنا نتساءل هل هذا ممكن ولماذا؟)

وهل هذا سبب تضارب التصريحات حولها؟

سواء ذلك التصريح الخاص بالجلباب أو بأدوات الجريمة وهل ذبح ١٠ أشخاص بضرب على الرأس والرقبة لا يحدث أكثر من بقعة من الدماء على جلباب وفردة حذاء؟ كما تساءل هل تظل البصمات بعد الغسيل؟ وهل من تسلق الحوائط لم يترك أية بصمات على الجدران أو على جثث الضحايا أثناء التمثيل بمحنتهم؟

وقال التقرير نفترض أن الجاني كان يرتدى قفازاً لو كان الأمر كذلك لما وجدت بصمات على الساطور وإن يكن فالمنطقي أن توجد بصمات على كل الحوائط والنوافذ والجثث مثلها مثل أدوات الجريمة التي أدعت الداخلية أنها حملت بصمات المتهم بعد ادعائها بأنها أُلقيت في التربة.

وأكد التقرير أن تقرير الطب الشرعي أوضح أن جثث الضحايا قد ذبحت جميعاً في نفس الوقت تقريباً الساعة الثالثة فجراً، وأن الضحايا العشر بهم إصابات حيوية بالرأس والرقبة وهناك تشابه شديد بين شكل تلك الإصابات وأن إصابات جدار البطن والأعضاء التناسلية قد تمت بعد الوفاة، وكذلك قطع الأصابع في بعض الجثث.

وجدد التقرير التساؤل مرة أخرى إذا كان الجاني قد قطع الأصابع الثلاثة الوسطى مع العضو التناسلي وأن الشرطة لم تجد منازل الضحايا فلم

أخذ الجاني الأصابع ولماذا لم يدل الجاني على مكانها برغم اعترافه بارتكاب الجريمة؟ وزاد التساؤل كم من الوقت يستغرق تسلق الجدران ودخول الشقة والصعود لحجرات النوم وذبح الضحايا بساطور، دون أن يصرخ إنسان واحد من شدة الضربة لينتبه من معه بنفس الغرفة ويحاول المقاومة، وبعد قتل من ٣ إلى ٤ أفراد يبدأ بتشريح جثثهم بأداة حادة وبمهارة ودقة شديتين، حيث إن جميع الجثث بما جروح قطعية تبدأ من منطقة البطن حتى الأعضاء التناسلية. دون إحداث جروح بالأعضاء الداخلية، ثم بعد ذلك قطع الأعضاء التناسلية أو بتر قطع إحدى اليدين ثم الانتقال للمنزل المجاور. وتسلق جداره بمهارة حتى لا يستيقظ من بالدار واستكمال نفس السيناريو في ٣ بيوت وعشر ضحايا؟ وتساءل: كم من الوقت يحتاجه شخص واحد لارتكاب الجريمة وأي درجة من الذكاء والمهارة يجب أن تتوفر لديه؟ وهل تنطبق هذه الأوصاف على شخص كمحمد أثبت التقرير النفسى أنه محدود الذكاء. وانتهى التقرير إلى أن هذه التساؤلات تثير شبهة أن الدافع للجريمة كان سرقة الآثار "فتح الكثر" بلغة أهل الصعيد. لافنا إلى أن من يقف وراءها عصابة عالية التنظيم تشتمل على عدد من الأشخاص لازالوا مطلقي السراح، يتعارض هذا التصور مع تقارير أخرى . وأكد التقرير أن الملاحظات في هذه القضية من كثرة إلى درجة أنه لا يمكن أن يطمئن لها ضمير إنسان، خاصة أن العقوبة ستكون الإعدام شتقاً ، نعتقد من جانبنا أن الحيرة و الغموض قد شملتا الموضوع من كل جوانبه وزاداته تعقيداً إلى درجة غريبة !! وبين التصور الأول بأن الفاعل (فصامى ، أو محدود الذكاء اتنا به نوبة جنون) وبين المعطيات الأخرى من أن قتل العشرة ضحايا كله تم بطريقة واحدة وبآلة واحدة ، بجانب أقوال الشهود واعتراف أهل القرية بسابقة للمتهم في محاولة الاعتداء على سيدة من القرية مما أشرنا إليه سابقاً.

الحكم في قضية بنى مزار

أما الأهرام في صدر صفحتها الأولى (١٦ أكتوبر ٢٠٠٦) فلقد أوردت أن المحكمة في حثيثاتها لبراءة المتهم محمد على عبد اللطيف، أن الغموض والريبة يلفان اعترافاته، كما قالت المحكمة أيضاً إن الجريمة، التي وقعت أحداثها بقرية شمس، وراح ضحيتها عشرة من الرجال، والنساء، والأطفال بالقرية، ليست فردية، وإنما هي جريمة ذات نسق منظم، حيث تم قتل جميع الضحايا، دون ترك أثر، والهروب من موقع الحادث بنجاح، دون افتضاح الأمر (حسب رأى ورؤية المحكمة)، وأشارت إلى بطلان اعترافات المتهم، وأنها جاءت نتيجة إكراه معنوى ومادى مورس عليه، وأسرته، وبالتالي سقطت الإدانة عنه من الناحية الإجرائية (...). أما من الناحية الموضوعية، فأعربت المحكمة عن عدم ارتياحها لاعترافات المتهم، بأن حالة نفسية تتنابه دفعته إلى ارتكاب الحادث، بعد أن اطمأنت لتقرير اللجنة الطبية النفسية، الذى جاء فيه أن المتهم لم تظهر عليه أعراض أو علامات المرض النفسى (مع العلم أن التاريخ المرضى العقلى السابق لم يؤخذ فى الاعتبار، بجانب أن هناك شكوكاً كبيرة تكمن فى أن المتهم قد عولج بالعقاقير ذات التأثير النفسانى — المَعْقِلَة — بعد وصوله بقليل إلى عنبر المذنبين فى مستشفى العباسية — المؤلف)، بالإضافة إلى الصورة البشعة التى ظهر عليها الضحايا بعد الحادث، من بقر بطونهم دون المساس بالأعضاء الدقيقة، والأحشاء الداخلية لهم، واستئصال الأعضاء التناسلية للذكور، وتشويه فروج النساء (وهذا يتعارض مع الهدف من قيام مجموعة بهذا العمل، ويؤكد على تفسيرنا السابق بأن الحالة عقلية فصامية، ات هوس شديد بالأعضاء التناسلية — المؤلف).

أما في ٨ سبتمبر فلقد أجرى الأهرام حواراً مع القاضى قدمه جمال الكشكى كالتالى: (جاءت النتائج عكس المقدمات تماماً فى مذبحه بنى مزار التى راح ضحيتها ١٠ أشخاص بقرية شمس الدين، ولا تزال أصداؤها تمزج الرأى العام وتضعه فى حيرة وربكة من فرط تداخل المعلومات وكثرها.. لكن المستشار محمد عبدالرحيم إسماعيل رئيس محكمه جنايات المنيا حسم كل هذا الجدل (وقتياً وقضائياً فى المرحلة الأولى فقط — المؤلف)، وأصدر حكماً يضعه فى مصاف الأحكام التى وصفها المحرر بالتاريخية التى لا تغفلها ذاكرة القضاء المصرى.

(فى البدايه سأله الكشكى — نورد هنا النص كاملاً بتصرف لغوى بسيط جداً لا يخل بالمعنى، المؤلف):

* هل تعرف ردود افعال الشارع بعد حكمك الذى أصدرته بالبراءة؟!

— البراءة عنوان الحقيقة، وأنا قاض أحكم بالعدل ومايليه على ضميرى.

* وما الذى أملاه عليك ضميرك فى هذه البراءة؟

— منذ الوهلة الأولى لنظرى لهذه القضية، تكوّن لدى إحساس بأن المتهم برئ.

* كيف؟

— اكتشفت ذلك فى تقارير الطب الشرعى؛ فتقرير كبير الاطباء الشرعيين اختلف مع تقارير نائبه ومساعدته، الأول أكد استخدام المتهم آلة حادة ثقيلة بلطة وأنها استخدمت فى شق بطون المتهمين، بينما تقريراً نائبه ومساعدته أكداً على أن المتهم استخدم آلتين: إحداها ثقيلة — ساطور — والثانية سكين، وهذا يعنى وجود تناقض.. بمعنى أنه حسب التقرير الأول، فلو أن المجنى عليه استخدم آلة ثقيلة وضرب بها على البطن؛ فلا بد من وجود تمزيق

وتقطيع لأحشاء البطن من الداخل لكن الأحشاء سليمة، وهذا يكشف التناقض بين التقريرين.

* لكن طريقة قطع الأعضاء الذكرية أثارت أيضاً علامات استفهام عديدة في القضية؟!

- الأعضاء الذكرية مقطوعة من جذورها، بالإضافة إلى قطع الخصيتين أيضاً بشكل مستدير، وهذا معناه أن المتهم محترف. (تفسير ذلك شرحناه سابقاً في تفسير مسألة الهوس الفصامي بالأعضاء التناسلية والآليات المفسرة للموضوع من الناحية النفسية الجنائية — المؤلف).

* معنى كلامك أنه غير مجنون؟!

- بصدق من ينفذ هذه الجريمة لا يمكن أن يكون عاقلاً أو مجنوناً (هذا بالطبع رأى قانوني بحث للقاضي — المؤلف) .

* إنها جريمة قتل بشعة بها خيوط عديدة.. ماهو الذى لفت نظر المحكمة فيما يتعلق بالأعضاء الذكرية؟!

- إن هذه الأعضاء تم قطعها بشكل غير حيوى أى انه تم تقطيعها بعد وفاة الضحايا.

* بصراحة هل تعتقد أن هناك قصوراً في جمع المعلومات، التحريات والأدلة التى تقود إلى خيط الجريمة.

- لا أنكر أن أجهزة البحث الجنائي بذلت جهداً كبيراً في أداء عملها لتقديم الدليل.

* وأين هو الدليل؟!

- المحكمة لم تطمئن للأدلة؟ (إذا هو عدم اطمئنان لأسباب فنية وتقنية وهو ما يفسره رد القاضي في الأجوبة التالية — المؤلف).

* لماذا؟!

- لأن هذه الأدلة لم تأخذ إجراءاتها الصحيحة.

* كيف؟!

- مثلاً يعنى فيما يتعلق باحذاء وجلابية المتهم، لم يتم تقديمهما عن طريق النيابة، على الرغم من أن الإجراء الصحيح أن يتم عرضها على سلطة التحقيق أولاً وهذا لم يحدث.

* على ذكر الحذاء والجلباب إلى أى مدى ساهم الجلباب فى هذه البراءة؟!
- لا يعقل ان تتم مذبحة بهذه البشاعة وبهذا الحجم دون أن يفرق المتهم فى دمائه.. وليس منطقياً أن يكون بالجلباب بقعة أو بقعتان من الدماء فقط.

فهذا لا يتسق مع بشاعة الجريمة (بالطبع هنا نحن أمام رأى افتراضى فى خاص يتعرض مع ما سبقه من أن القطع جاء بشكل مستدير وحرقي، ليس مستبعداً علمياً وعالمياً مع حالات نادرة من الهوس الفصامى - المؤلف)

* سيادة القاضى.. ألم تخش ردود أفعال هذا الحكم الجريء؟!

- خير للإمام ان يخطئ فى العفو من أن يخطئ فى العقوبة (أعتقد أن هذا هو لب القصيد فى جوهر هذا الحكم بمعنى تضارب التقارير مع الإهمال الفنى بجانب الملابس الإعلامية وتحول القضية إلى قضية رأى عام تؤثر وتتأثر بما يدور حولها - المؤلف)... كما أنني قاض محترف ولو حكمت ما اخفش ولو خفت ما احمكش.

* أ لم يزعج المحكمة دخول محامى مثل طلعت السادات، خاصة أن البعض

يرى أن دخوله صنع نوعاً من تسييس الجريمة؟!

- كل هذا لم نضعه فى اعتبارنا.. نحن فقط نحكم بما يملئ علينا ضميرنا أمام الله وأمام الرأى العام.

* من يتحمل دماء الضحايا؟

- الفاعل الأصلى.

* ومن هو؟

- الجاني الحقيقي لازال مجهولا.

رد أجهزة الأمن

أما في (أهرام ٢٠٠٧/١/٦) ، وتحت عنوان :نالت وصف " أكثر الجرائم بشاعة " — مذبحة بنى مزار بين عامين..! كتب المحرر (إنها من تلك الجرائم غير القابلة للنسيان فسوف يمر من الزمن الكثير حتى تنسحب أحداث جريمة بنى مزار إلى موضعها في أرشيف الجريمة، على الرغم من أن الجريمة الشنعاء وقعت في آخر ليالى عام ٢٠٠٥ ، فإن أصداءها ملأت أيام عام ٢٠٠٦ وتصدرت في كثير من الأحيان الأخبار على مستويات عديدة.

كان رد فعل أجهزة الأمن ليؤكد أن القاتل الحقيقى هو محمد عبد اللطيف الذى صدر الحكم ببراءته، وقد أبدت أجهزة الأمن احترامها للمحاكمة، غير أن عدم ثبوت التهمة فى حق المتهم لا يقتضى بعدم حدوثها على يديه.

وفى المجرى نفسه انضمت النيابة العامة لتتقدم بالطعن على حكم البراءة، مستخدمة حقها القانونى فى المطالبة بإعادة المحاكمة مرة أخرى أمام دائرة مختلفة لتمسك النيابة بأدلة الاتهام التى وردت فى التحقيقات التى أجرتها، وكذلك ما أسفرت عنه جهود المباحث فى القضية التى كانت غريبة على كل المستويات وشكلت إحدى أكبر علامات الاستفهام والتعجب أمام الكثيرين!؟

وفى عزبة شمس الدين لازالت القلوب حزينة ومتعبة وأشباح الجريمة تجوب السوداء وبمجرد طعن النيابة على الحكم قد تبدأ خطوة ذات درجة كبيرة من الأهمية، إذا ما تمت إعادة المحاكمة — إذا ما رأت الجهة القضائية

المنوط بما هذا الأمر — فسوف يجيء المستقبل ليشكل من بين أحداثه حلقة جديدة لكنها ستكون الحلقة الأخيرة بأى نتيجة تنتهى.

ودارت الإشاعات، فالناس مرة يتهمون عصابة خيالية لبيع الأعضاء — على رغم من ضعف هذا الفرض — فإن هناك من روج له، وهناك من اتهم عصابات الشعوذة المتحالفة مع مافيا الآثار (...). الاتجاه الأكثر قبولاً لدى الناس ويجمع بين نظرية المؤامرة، الغيبيات، ورفض كل ما يطرحه الأمن حتى لو كان صحيحاً — المؤلف)، ومنهم من اتهم عصابة من الجن (...). هم وحدهم الذين يستطيعون ارتكاب جريمة بمثل هذا الأسلوب من الدقة إلى درجة قتل نصف سكان منزل دون أن يشعر بهم النصف الآخر خلف باب واحد.

الفصل الثانى

فى مسألة القتل

أبناء هتلر ... يقتلون أبناء كليتون^{١٥}

في ٢٠ أبريل "عيد ميلاد هتلر" ، قام مراهقان بزرع القنابل والألغام حول المدرسة التي يتعلمون فيها، كانا مسلحين بالرشاشات، وقاما بدم بارد بقتل خمسة عشر طالباً، ثم انتحرا. كانا منبوذين من الآخرين — هكذا قال بعض الطلاب — وكانا ضعيفين نفسياً وجسدياً — قال أحدهم وهو يقهقه ويقتل: إنني أفعل كل ذلك لأن الناس يسخرون مني. قال لك زوبانك الطالب بمدرسة كولومبيان العليا بعد المذبحة:

“لقد كانا منبوذين، كان الجميع يضحكون عليهم، كان الكل يمزقهما بالكلام العنيف». وقبل أن نخوض في تفاصيل الحادث نشير إلى أن الرئيس الأمريكي نبه إلى ضرورة أن تنبّه الأسر إلى الأولاد بأن يكلموهم وأن يهتموا بهم، لم يتطرق كليتون إلى موضوع السلاح الناري أو المتفجرات، كان يعرف أن اللوبي القوي للرشاشات لن يسمح له بأى حوار — مجرد حوار عن منع الأسلحة، فالسلاح أصبح أمراً عادياً، بل ضرورياً للبشر في أمريكا من تنبيه كليتون إلى الأسر. نورد هنا حديثاً لعالم الاجتماع الكندي: مارشال ماكلوهان الذى قال: إن حرب فيتنام خسرها الأمريكان في غرف المعيشة — في بيوتهم — ولم يخسروها في ساحة الحرب في فيتنام.

هناك ربط ، ليس عشوائياً، وليس مجرد صدفة بين هؤلاء القتلة الصغار وبين (ماكفى) الذى فجر المبنى الحكومى فى أو كلاهما كان ضعيف البنية، ضعيف النفس، ولما سعى إلى القتال العنيف وجد نفسه، ولما رفضوا

^{١٥} المؤلف ، صباح الخير ، مصر ، ١٩٩٩ .

ترقيته في البحرية الأمريكية انكفأ على ذاته ولما حانت له الفرصة حمل المتفجرات وفجر المبنى والناس وقتل حوالي ١٦٥ إنساناً.

وليس الأمر أيضاً محض صدفة أن تتشابه بعض الصفات في الشخصية والأداء بين هؤلاء القتلة المراهقين وبين الرجل متوسط العمر (توماس هاملتون) الذى نبذ مجتمعه وحاصره ورفضه، فانتقم منه في أعز ما يملك، أولاده ، قتل أولاد المدرسة في (دنبلين) في إسكتلندا ثم قتل نفسه. كان ضعيف النفس والجسم، يحاول التعويض عن ذلك بنشاطات اجتماعية ورياضية، ولما ضاقت به السبل تحول إلى المسدس والمدفع يستمد منهم القوة والفحولة ثم ينهى حياته و حياة الصغار.

ولكن البريطانيين يميلون إلى تمرير الأمر، والقول إلى أن مثل هذا الحدث يحدث فقط في أمريكا، حيث إن رد الفعل الغريزي — وربما الطبيعي — إن عدد الأسلحة النارية في أمريكا يفوق الحد والوصف والعد.

إن القتل الذى تم في (دنبلين) بإسكتلندا وكذلك في مدينة (هنجرفورد) يثبت أن تسريب الأسلحة إلى قاعات الدرس ليس مقصوراً على أمريكا ، لكنه يحدث في بريطانيا وفي دول أخرى، ربما.

والسؤال الهام والكبير هو: لماذا قام (إريك هاريس) و(دانيون كليبولد) بهذا القتل الجماعى؟! ليس هناك سبب واحد، وليس هناك دافع وحيد. بمعنى أن الحصول على السلاح ليس دافعاً للقتل، أى أن الحصول عليه سهل عملية القتل، لكن للقتل أسباباً أخرى مبيتة. اجتماعية في الأساس. الوله بالشواذ والمسخ مثل ذلك المغنى (مارلين مانسون) الذى يأخذ اسمه الأول من مارلين مونرو، واسمه الثانى من السفاح (تشارلز مانسون) إن

أمريكا ملأى بمراهقين بيض من أبناء الطبقة الوسطى مثل (إريك وديلان)، وهم أغلبهم يغلبهم الإحباط واليأس وفقدان الأمل في مجتمع استهلاكي شره فقد مقومات وجوده، وربما يحمل في أحشائه بذور فئائه. لماذا تعلق الدهشة وجوه الناس، ولماذا تصيبهم الصدمة وهم يعلمون علم اليقين ان هؤلاء المهمشين في مجتمع غنى يطفح بالخير والتكنولوجيا يتمنون تشويه هذا المجتمع الذى في نظرهم لا يعدل ولا يتيح الفرص.

في الفيلم المعروض حالياً في الشاشات، فيلم هوليوودى بحق، إنتاج أمريكى، بطولة البطل المقتول العضلات، البطل المنتقم من الأغنياء المتحجرين، والمافيا والعصابات (ميل جيسون) الذى ينتهى به الفيلم في سيارة مسروقة يقول لصاحبه:

(إذن فليتوقف كلانا عما يفعله، أتوقف أنا عن إطلاق النار على الناس وتوقفين أنت عن البغاء)؟! وكأنه يختصر حيوات أناس كثيرين، لا يتمكنون من العيش إلا بالقتل وبيع الهوى.

الممثل الفذ (جاك نيكلسون) يقول في حديث نادر للإذاعة تعقيماً وتفسيراً لرفضه الظهور في مقابلات تليفزيونية "التليفزيون مصيدة فئران، أرفض الوقوع فيها" إن هذه الآلة المسماة بالتليفزيون سم، غيرت الناس والسينما، إن أفلام الإثارة الحديثة Action تحوى كل ثمان دقائق مشهداً عنيفاً، كالانفجار، أو الدوى، أو زخات الرصاص، وهذا سببه أن الناس تعودوا على عرض الإعلانات كل ثمان دقائق، وخضوعاً لحتمية رأس المال تكون المشاهد التى تشد الناس وتبكيهم. وتنتقل هذه المأساة من الشاشة إلى الواقع، فترى أفلام وبرامج التليفزيون الأمريكية، تؤكد دوماً على النمط المدرسى العالى: طالب نموذجي، مشبع جنسياً، لائق بدنياً، بل فتوة مقتول

العضلات، وعلى نفس الصعيد نجد أبطال الثقافة الطلابية المدرسية في أمريكا من نوع آخر، غاضب، يكره السلطة، ويعادى المؤسسة بكل أشكالها: مؤسسة الأسرة، الحكومة، العالم. وهؤلاء القتل الصغار نموذجاً لهؤلاء الصبية الذين لم يتمكنوا من التعاطى مع الواقع المعاش، الواقع المدرسى، والأسرى، والمتجمع بشكل عام، وهنا فهم يهربون إلى واقع آخر في بطن التاريخ. فيتماهون (يتوحدون) مع هتلر ومن ثم يقتلون السود فقط لأنهم سود، وها هو أحدهم يصيح في بحجة انظروا إلى مخ هذا الولد الأسود إنه قبيح سأفجره الآن. ومن ناحية أخرى توحدوا مع مغن مشوه النفس والشكل والملامح (مارلين مانسون) معاد للسيد المسيح وللدين وللدنيا، عيناه حمراوتان ويضع أثداء صناعية ويمارس الجنس على خشبة المسرح مع مشاهد عار يستفزه بالطلوع إلى موقعه؟! إن واقع هؤلاء الصبية نوع من الثقافة الخاصة الأشبه بالسحر ضد المثل، والبطولة، نوع من الثقافة الخاصة تأخذ الأمور إلى مداها، في أبعاد مرعبة للغاية.

إن صناعة النجم، البطل، المحرم، رجل الأعمال، السياسى فى أمريكا تحكى لنا روايات وتقدم لنا صوراً لا تحمل لأبطال عنيين، وهم يحتفلون بالعنف احتفالاً ودون صحب يقتلون بدم بارد جداً الناس على الشاشة، وفى ساحة اللعب، وفى فصول الدرس. وتنبه شعوب أخرى أوروية أساساً إلى البعد العنصرى فى علاقات الناس ببعضها مثلما الحال فى فرنسا، ألمانيا، بلجيكا وبريطانيا، حيث يقتل العرب والسود بدم بارد، تحت ضغوط التوحد مع ثقافة عنصرية عدوانية مجرمة، وهذا يغذى ويتغذى على أحاسيس منتشرة بين شباب هذا الجيل مثل الإحساس بالمرارة، والإحباط والعقم النفسى.

قال مذيع في الـ CNN: اسمعوا (مارلين مانسون) وهو يغنى وأنتم تدركون من أين نبع القتل والقتلة الصغار.

(مارلين مانسون) معروف باسم عدو المسيح اسمه الحقيقي براين باركر ولد وترعرع في فلوريدا الساحرة، ودخل مدارس مسيحية وعندما شبّ وكبر أصبح (شيطانياً) متمرداً على القيم والناس والشكل والتقاليد، غير اسمه إلى (مارلين مانسون) من مارلين مانرو وتشارلز مانسون أهم أيقونات العصر الأمريكي الذي ترعرع فيه الشباب الأمريكي وهما أيضاً طرفي نقيص، شرير سفاح قاتل (مانسون) وعاشقة ممثلة رمز للإغراء انتحرت في عز شبابه (مارلين مونرو)، كَوْن هذا الرجل الغريب فرقة موسيقية طفحت بأغان وألحان وصفها أحد النقاد الأمريكيان بقوله بـ«الأقذر، الأسوأ، الأبشع تسجيلات جنسية، موجهة للشباب» ويعد الثالث أكثر مبيعاً في قارة أمريكا الشمالية وله رواد وعشاق في مصر وكافة البلاد العربية (...). يلبس الشباب فانلاته ويغنون أغانيه ضد السيد المسيح.

يقال حسب مصادر من طلاب المدرسة المنكوبة إن المراهقين كانا ضمن مجموعة تضم ثمانية إلى عشرة طلاب تسمى نفسها (مافيا المعاطف الواقية من المطر)، وأن هؤلاء الطلاب كانوا مكروهين بشدة من الطلاب الآخرين، كانوا بمثابة الجُفاء والغناء، وبالتالي لم يسمع أى أحد لضمهم إلى أى نشاطات طلابية أو اجتماعية لقد كانا يلعبان لعبة الحرب، الكر والفر، الضرب والقتل، لقد وجدوا الرب في ذواتهم وفي موسيقى وأغاني (مارلين مانسون)، كانوا متشجنين، غرباء، لكنهم لم ينخرطوا في أى عمل عنفى. كما قال (جاسون جرير) طالب عمره ١٥ سنة، كانت المجموعة ترتدى ثياباً داكنة اللون، ومعاطف غامقة، كانوا يتحدثون بكثرة عن هتلر، كانوا

مغرمين بالنقاش حول كيفية قتل الناس وقطع رؤوسهم، كانوا يركزون على أغنية (مارلين مانسون)، المعروفة باسم (أنا أكره الناس)، كانوا يكرهون المدرسة وكل شيء حولهم، في حصة الإنشاء والتعبير، كانا يقرآن بصوت عال تعبيرات خاصة بالموت، كانوا يلبسون معاطف خاصة بالقتال، وأحذية برقبة تضم حول الساقين حواف البنطلونات الجيتار، وكأنهم رعاة البقر الجدد، الكابوبى نسخة ٩٩، في عيد ميلاد هتلر الـ ١١٠. هناك علامات عديدة يجب التوقف عندها في مجال التحليل الحداثي والاجتماعي والنفسي والديني للمجزرة البشعة فالقاتلان اختاراً بنتاً معروفة بتدينها وكانت مؤخراً في رحلة إلى بريطانيا مع كنيسة المدينة قال لها (هاريس) وهو يشد شعرها ويضع فوهة المسدس على رأسها: من هو ربك؟! كان يضحك في بلاهة وجنون: قالت مستحيرة استسمحك لا تقتلني، أرجوك، لا تقتلني؟ قال: قولي أنني ربك، إنني أمسك بزمام الأمور، أنت تحت رحمتي؟! قالت البنت: لا. أنت لست ربي. صرخ فيها قولي إنني ربك؟ رددت وأعادت على مسامعه جوابها السابق: لا، أنت لست ربي. عندئذ كانت الإجابة زخات رصاص أردتها قتيلة. لقد مرّت الأسلحة على أيد كثيرة قبل أن تصل إلى ترسانة المقاتلين المراهقين. إن مجتمع العنف الذي لم يمت له جندي واحد في حرب البلقان مات له خمسة عشر شاباً وبناتاً في ربيع عمرهم والمثير للدهشة وللحزن وللمفارقة الصعبة أن رجال الشرطة الفيدرالية كانوا من جنود فيتنام السابقين، كانوا سيكون وهم يفتشون المكان المليء بالدم وبالجثث وكأنه يردد قول عالم الاجتماع: نعم نحن لا نخسر الحروب في ميادين القتال لكن نخسرها في بيوتنا.. في داخل الأسرة الأمريكية وفي مدارسنا.

الدوافع النفسية لقاتل الـ ١٧ رجلاً^{١٦}

- أكل أجزاء من جثثهم ومارس الجنس مع أربعة من الموتى
 - جيفرى داهمر يموت على يد سجين آخر فى المرحاض
 - علاقة القصة الحقيقية فى نيويورك بفيلم "صمت الحملان"
- القاتل السفاح الأكل لحوم ضحاياه جيفرى داهمر يقتل ربما بالضبط - كما لقي ضحاياه الـ ١٧ حتفهم- مثله مثل شخصية (هانىبال ليكتر) الأكل لحوم البشر التى جسدها الممثل العالمى البريطانى الأصل أنتونى هوبكر فى الفيلم الذى حاز على جوائز أوسكار "صمت الحملان".

قتل داهمر على يد زملائه القتلة فى أحد السجون (معاهد الإصلاح) فى أمريكا فى الأسبوع الأخير من شهر نوفمبر ١٩٩٤.

لم يذكر اسم قاتل القاتل أكل لحوم البشر، وإنما عرف أنه ضرب بشدة بمرأوة ثقيلة وتركه مضرجاً فى دمائه فى مرحاض السجن. قتله أمام زملائه حتى الموت، وكأنه كان ينتقم منه لبشاعة فعلته وليشفى غليل بعض أقارب ضحاياه السبعة عشر، المثير للدهشة أن كل السجناء قالوا إنهم لم يروا شيئاً، حيث مات داهمر البالغ من العمر ٣٤ سنة بعد أن اعترف بقتله ضحاياه، بل وبأكله لحومهم بعد موته.

نعم اعترف القاتل للقاضى ولهيئة المحلفين بأنه قتل سبعة عشر رجلاً وأكل أجزاء من أجسادهم، ولأن القانون فى نيويورك لا يسمح بالإعدام، فلقد حكم على داهمر بالسجن المؤبد، من المرجح أن داهمر يكون قد ضرب

^{١٦} الهدف الكوييتية، المؤلف، ١٩٩٥، أبريل.

بشدة بمطرقة لكنه مات متأثراً بجراح عميقة بعد أن ضرب بهراوة ثقيلة هرع الحراس إلى صراخه حيث كان مضروباً إلى أن فقد وعيه ثم مات.

قال أحد مسئولى السجون فى مركز كولومبيا للإصلاح، لقد اخذت بنفس الطريقة التى أخذ بها أرواح ضحاياه، كان داهمر يعمل فى مصنع للشيكولاتة إبان النهار وفى الليل كان يصطاد الرجال الشواذ إلى شقته فى منطقة (ميلواكي) كان يخدرهم ثم يقطعهم إلى أجزاء مستخدماً منشاراً كهربياً، وكان يغلى اللحم نازعاً إياه من العظام محتفظاً بأعضائهم التناسلية فى برطمانات المربى الفارغة المجهزة خصيصاً لذلك مع قطع لحمهم، اكتشف البوليس القاتل المجنون بعد أن نجح احد الضحايا فى الهرب وهو مقيد بالسلاسل، كانت فى الشقة خمس جثث لرجال آخرين مع بقايا تننة لحنة سادس، اقر الرجل المجنون أنه قد مارس الجنس مع ٤ جثث، ثلاثة منهم ذابوا فى حمض فى الحمام؟! كشف البحث عن إحدى عشر رأساً إنسانياً موزعة على ارجاء الشقة، واحدة منها كانت فى البراد (الثلاجة) وثلاثة فى (الفريزر) مع قلب بشرى محفوظ داخل ورق بصدير (فويل). قال داهمر للبوليس إنه كان يعد العدة لأكل ذلك القلب فيما بعد.

سبعة رؤوس غلاها فى الماء حتى استوت على العظم فقط بينما بقت أربعة منها كما هى بلحمها وعظمها.

اعترف أيضاً القاتل المهووس بأنه كان يأخذ بعض جماجم ضحاياه من السود معه الى العمل بحيث يستغرق فى النظر إليها أثناء تناول الطعام هناك، كما اعترف بأنه قد أكل عضلة لرجل بعد أن ملحها ووضع عليها الفلفل الأسود وصلصة الباربيكيو.

اشتكى الجيران من صوت المنشار الكهربى المزعج كما واجهوه بأن
ثمة رائحة كريهة تنبعث من ناحية شقته، فكانت إجابته بأن اللحوم قد
فسدت فى البراد.

قال أحد المحققين فى استغراب منقطع النظر: "لقد كان يأكل
هؤلاء الذين يعجبونه فقط".

مات داهمر بعد أن حكم عليه بالسجن مدى الحياة لثوبت اتهامه
بالقتل فى ١٦ حالة من السبعة عشر، وكان دائماً فى داخل زنزانته
كالصندوق الزجاجى، مثلما تلك التى يوضع فيها الممثل أنتونى هوبكر فى
فيلمه الشهير "صمت الحملان".

قال ضابط السجن، لم يكن هناك خطر على حياته، أو على الأقل
لم نحس بذلك، لكننا اكتشفنا منذ شهور عدة بعض الحبوب الدوائية معه،
ربما كان يحضر للانتحار.

بقى ان الرجل المهووس قد قال أثناء محاكمته أنه لا يريد أن يخرج
حرّاً للحياة أبداً؟! وإن مسألة الحياة والموت عنده سيان، على أنه تمنى الموت
داخل نفسه.

لكن هناك دائماً ما كانت شبه همسة تدور فى أرجاء السجن أن
هناك من يريد ان يكون بطلاً يوماً ما، هناك من سيقتل داهمر إن عاجلاً أو
لاحقاً هناك من يريد التتويج من السجناء الآخرين، ولقد كان.

التعليق:

"القاتل الجماعي" ظاهرة تتميز بها المجتمعات الغربية تحديداً الولايات المتحدة الأمريكية وهى ظاهرة غريبة ومحيرة لعلماء الجريمة والنفس خاصة اطباء النفس الجنائين، ظاهرة مقلقة ذات طابع درامى وتحظى بتغطية إعلامية واسعة في كل الأحوال تقريباً.

ولأن هؤلاء القتلة يمثلون بضحاياهم ويمارسون أفعالهم البشعة على مدى زمنى متسع فإنهم يروعون المدن ويقضون مضاجع الناس حتى هؤلاء البعيدين نسبياً عن مكان جرائمهم.

ومتى نجحت الشرطة في القبض على "القاتل الجماعي"، فإن ثمة مطلباً جماعياً من الناس بقتله يتزايد يوماً بعد يوم، وإنما يفسر إقدام قاتل داهمر على قتله تشفياً منه للناس وإن كان قاتل القاتل نفسه مجرمًا فهو ليس على نفس القدر من البشاعة والكره وهو إنما يود أن يغفر له الناس جرائمه وإلباسه حلة البطولة.

يجب التفريق بين "القاتل الجماعي" الذى قتل مجموعة من الناس مرة واحدة مثل حالة ريتشارد سى الذى قتل ثمانى ممرضات وهن فى غرف نومهن فى شيكاغو عام ١٩٦٦ أو "جيمس هيرتى" الذى أطلق الناس على ٢١ انساناً فى مطعم ماكدونالد وسميت وقتها "مذبحة ماكدونالد" عام ١٩٨٤ فى سان ياسيدرو بكاليفورنيا، وهم يختلفون عن داهمر الذى يقتل القاتل ضحاياه فرادى على فترات زمنية متتابة مثل "بيتر ساتاكليف" سفاح يوركشاير الشهير الذى قتل ١٣ امرأة من إنجلترا عبر خمس سنوات ونصف، وكما سنشرح لاحقاً فلا تبدو أية فروق فى الطابع النفسى لكلا الحالتين (القتل الجماعي، مرة واحدة) والقاتل لعدد كبير من الناس على مدى زمنى

متباعد كل على حدة، ويجب تحديد هؤلاء القتلة استثناء من عمليات القتل الجماعى مثل الهولوكوست ومذبحة "ماى لاي"، وغيرهما من العمليات الإرهابية البشعة التى اتسم بها القرن العشرين.

نظراً لطبيعة تلك الجرائم وحساسيتها فإنها تستحوذ على اهتمام الصحافة أكثر من اهتمام المشتغلين بالقانون، وبالطب النفسى فى الكتابة والتحليل. وتركز مجلات مثل "النيوزويك" عام ١٩٨٦ على البعد الإنسانى وفضاعة الجرائم أكثر من محاولة الدخول إلى عالم المجرم القاتل وتحليله النفسى وتكتب التحاليل المختلفة فى الجرائد والمجلات غالباً بواسطة محررين لا أطباء أو علماء نفس أو قانونيين فى أغلب الأحوال.

كتب لافن من أشهر علماء الاجتماع تقريراً مطولاً ظهر فى كتاب تحت عنوان "القتل الجماعى" شاركه فيه العالم (فوكس) سنة ١٩٨٥ وناقش التقرير قضية الفحص النفسى للقتلة متحدياً ان يكون شاملاً نظراً لأنه لا يتم بشكل فعال إلا إذا كانت للجرائم توابع اجتماعية شاذة مريبة وغريبة تدفع الى البحث والتقصى. ويؤكد لافن وفوكس على أنهما فى تصورهما النفسى الاجتماعى للقاتل الجماعى فإنما هما لا يضعون ثوابت أو (أكليشه) يمكن أن تنطبق على كل الحالات سابقاً أو لاحقاً.

ففى وصفهما للقاتل الجماعى كما يرياه رجل أبيض فى أواخر العشرينيات من عمره وأحياناً الثلاثينيات وإذا كان قاتلاً جماعياً من واحدة فإنه يستخدم رشاشاً أو مسدساً سريع الطلقات بينما القاتل الجماعى على واحد يقتل الغرباء بالضرب أو الخنق وتعتمد دوافع الجريمة على الظروف المحيطة بها. وهى تكاد تنحصر بشكل عام فى مسائل المفلوس، الغيرة، التزوة، وعلى الرغم من ان القاتل الجماعى يظهر بارداً لا يحس بالندم منكراً

المسئولية فإنه نادراً ما تظهر عليه علامات الجنون "الدهان" أو "المرض العقلي" بأى صورة.

ومقارنته بالقاتل الفردى نجد أن إدمان الخمر والمخدرات فى حالة القتل الفردى ظاهرة مهمة وأنه يأتى غالباً من الطبقة المتوسطة ولم يحظ بقدر كاف من التعليم كما أن نسبة الشذوذ الجنسى فى الرجال القتلة الفرديين أقل بكثير منها فى هؤلاء القتلة الجماعيين.

وحين يفحص الطبيب النفسانى قاتلاً جماعياً مهووساً فإن الحالة تكون واضحة ومباشرة ويعتمد تقريره على أساس هل كان المجرم مهووساً مصاباً بأعراض حادة وقت ارتكابه الجريمة أم على الرغم من صعوبة هذا الأمر فإنه بالإمكان تحديده بشبكة من الأسئلة والاختبارات المعقدة نوعاً ما، يعتمد الفحص على اختيار الدوافع، الأفعال، والإدراك لدى القاتل، وأكثر ما يزعج فى الأمر هو أن يلبس القاتل حلة الجنون من أجل تفادى العقوبة وهى مسألة يسهل حلها بالملاحظة والمتابعة المستمرة داخل السجن على مدى زمنى معقول.

ويكون الحل صعباً أيضاً فهو يتراوح ما بين العلاج داخل مستشفى خاص (أشبه بالسجن) أو بالعقاب، أما فى حالة القاتل العادى — غير المجنون — فإن الأمر يزداد تعقيداً وكثير من هؤلاء يقتل ضحاياه ليخرسهم كشهود وهم مما لا يدع مجالاً للشك مضطربين للغاية، وهنا تكون مسألة تقديم تصور نفسى لإنسان غير مريض قتل جمعاً من الناس غاية فى الصعوبة.

المجتمع الإنسانى بشكل عام والغربى الأمريكى بشكل خاص يفكر الآن أكثر ما يفكر فى كيفية الوقاية المستقبلية ولا بدليل إلا اليقظة والحذر

والتنبيه على الآباء والمدرسين، أطباء الأطفال، وأطباء النفس للأطفال والمراهقين حين يلاحظون لدى الصغار أى ميول تجاه العنف الشديد أو القتل أن يتضافروا بجهودهم مع كل الجهات، ربما نعم، نعم ربما من أجل وقاية البشرية من أحد عوامل دمارها البشعة والغريبة.

القاتل بالجملة والقاتل على مراحل مأساة دنيلين^{١٧}

ترى من هو توماس هاملتون ؟؟؟؟؟

تفاصيل الجريمة التي هزت بريطانيا، واعترافات سفاح الأطفال
الإنجليزي

* الفرق بين الذى يقتل مجموعة من الناس مرة واحدة وبين من يقتلهم على مراحل، هو أن الأول غالباً ما لا يعاني من مرض عقلى ويكون بارداً لا يحس بالندم، بينما الآخر غالباً ما يكون مدمناً للخمر أو المخدرات أو كليهما.

* المشكلة الكبرى فى موضوع هاملتون هو رخصة حيازة السلاح واستخدامه والتدرب عليه ومن ثم فإن قانون حيازة السلاح واستخدامه سيتغير فى بريطانيا.

* يواجه المجتمع الغربى معضلة كيفية الوقاية وهى أمر يعتمد على القدرة على التنبؤ أو التكهن. بمن هم فى خانة الخطرين مستقبلاً وهى مسألة شاقة إن لم تكن مستحيلة فى مجتمعات مفتوحة تتمتع بقدر كبير من الحرية والديمقراطية.

فى صباح الأربعاء ١٣ مارس ١٩٩٦ روعت بريطانيا كلها، كما لم تروع من قبل، انقلبت البلدة الوداعة "دنيلين" رأساً على عقب، زارها

^{١٧} المؤلف، صباح الخير، مصر، مايو، ١٩٩٦.

القاتل بالجملة والقاتل على مراحل مأساة دنيلين^{١٧}

ترى من هو توماس هاملتون ؟؟؟؟

تفاصيل الجريمة التي هزت بريطانيا، واعترافات سفاح الأطفال
الإنجليزي

* الفرق بين الذى يقتل مجموعة من الناس مرة واحدة وبين من يقتلهم على مراحل، هو أن الأول غالباً ما لا يعاني من مرض عقلى ويكون بارداً لا يحس بالندم، بينما الآخر غالباً ما يكون مدمناً للخمر أو المخدرات أو كليهما.

* المشكلة الكبرى فى موضوع هاملتون هو رخصة حيازة السلاح واستخدامه والتدرب عليه ومن ثم فإن قانون حيازة السلاح واستخدامه سيتغير فى بريطانيا.

* يواجه المجتمع الغربى معضلة كيفية الوقاية وهى أمر يعتمد على القدرة على التنبؤ أو التكهن. بمن هم فى خانة الخطرين مستقبلاً وهى مسألة شاقة إن لم تكن مستحيلة فى مجتمعات مفتوحة تمتع بقدر كبير من الحرية والديمقراطية.

فى صباح الأربعاء ١٣ مارس ١٩٩٦ روعت بريطانيا كلها، كما لم تروع من قبل، انقلبت البلدة الوداعة "دنيلين" رأساً على عقب، زارها

^{١٧} المؤلف، صباح الخير، مصر، مايو، ١٩٩٦.

كان عمره ٢٢ سنة حينما طرد من مجلس الكشفة المحلي، لا لشيء إلا لأنه لم يكن مناسباً كقائد ومدرب للأولاد، وبعدها انتشر الهمس بين الناس بأن "هاملتون" شخص غير سوى، بل وشاذ جنسياً، وأدار الرجل القاتل المتحرر معركته مع السلطات المحلية (وقبل عملياته أرسل نسخاً من رسائله الى الملكة والبرلمان، والى الـBBC والصحف).

وفى الكوارث يجتهد الناس فى استنتاجاتهم، ويعتمد العلماء على أساليب محددة لكن بشكل عام يظل الأمر كما فى حالات القتل الجماعى بنهم عصبياً على الفهم، تتداخل فيه وتخرج منه عوامل كثيرة، ونظريات متعددة. لكن السؤال الأهم: هل الرجل مختل عقلياً؟! هل هو مجنون؟! هل هو مريض؟! .. شأنه شأن آخرين أتوا مثل فعلته.. إنه شخص غريب الأطوار هيأته الظروف، وهيأ لها المقومات، وهيأ لها بنفسه وعقله وجسده، بمعنى أن هناك عوامل مختلفة تشكل البنية الرئيسية، وتحفز على حدوث ماحدث، وهى مزيج من العوامل النفسية والاجتماعية والعنصرية، فهو لم يرتبط بأمرأة قط، ولم تكن له علاقات حميمة، وكان يسكن فى شقة فى منطقة متواضعة مختلفة عن تلك الفيلات الرائعة الأنيقة على التلال التى سكنها الأطفال القتلَى وذويهم، وكان مهووساً بالسلاح النارى (وعلماء النفس يرون فى ذلك رمزاً تعويضياً للعضو الجنسى الذكرى القوى القادر على الفعل، إطلاق النار، إطلاق السائل المنوى، والطريف أن البحث العلمى قد أثبت أن القتلة بشكل عام تكون نسبة الحيوانات المنوية لديهم مرتفعة جداً!)

هذه العوامل المهيئة تتضافر مع ظروف تسهل حدوث الانفعال، تلتحم بخيالات عنيفة تزداد مع مرور الوقت (فانتازيا عنف دموية وعشق

مرضى للدماء والقتل والسلاح)، يتزامن ذلك مع انهيار في الاعتبار النفسى، وفي الثقة بالذات، وإذا اجتمع كل ذلك مع صدمات حياتية مثل عدم القدرة على الانسجام مع الآخرين، أو تحقيق مستقبل وظيفى، أو النبذ والرفض والاحتقار يؤدى كل ذلك إلى حالة من التصدع والتشتت والشعور بالاضطهاد، من ناحية أخرى تتوالد الخيالات العنيفة داخل المخ والنفس والذاكرة في طريق القتل والانتحار، قتل النفس وقتل الآخرين، كما حدث مع توماس هاملتون، الذى مقت نفسه إلى حد الموت، مقت الآخرين لأن لديهم أطفالاً، أراد أن يأخذ هؤلاء الأطفال بعض الوقت في معسكرات الكشافة، فحرم من ذلك، ومن ثم حرم آباءهم وجمتمعهم منهم في عرض خارق مجنون، بالمعنى المجازى للكلمة، مستبعد غير متوقع، يثير أكبر قدر من الشحنات العنيفة، الحزينة الغاضبة المليئة بالذنب والتوتر والإحباط.

* سر الانتقام!

حينما فتح توماس هاملتون النار صباح الأربعاء المشنوم ١٣ مارس لم يكن لينتقم من المؤسسة البوليسية، ولم يكن يثار من مؤسسة الكشافة لطرده منها، أو من المدرسة، لأنها حذرت الأطفال منه لكونه شخصاً غريباً، لكنه كان - بشكل عنيف جداً - يعاقب الآباء في بلدة (دنبلين) لقد لامهم كلهم بلا استثناء لأنهم آثروا تصديق ما أثير حوله من شبهات تتعلق بالهوس بالأطفال.

إن ملف الخطابات التى أرسلها هاملتون إلى وسائل الإعلام المختلفة يوم الثلاثاء ١٢ مارس ٩٦ حدد الأشخاص والمؤسسات التى فحصت الدعاوى والشكاوى، التى شككت وارتابت، ومن ثم لطخته بأنه غير لائق

للعمل في مجال الجواله مع الأولاد، ومع ذلك فعندما حان وقت الحساب لم يحاسب هاملتون تلك المؤسسات، وإنما حاسب الأهل الآباء، من هم توجهه مباشرة ضرباته.

لكن لماذا قام هاملتون بهذا الهجوم الشرس على فصل من الأطفال الأبرياء؟! هم في النهاية غرباء عنه؟ بدلاً من أن يصب حجام غضبه على من أهانوه ونبذوه؟! الإجابة تكمن في ذلك الإحساس الغريب الذي تملكه طيلة حياته، تلك الشهوة الممتزجة بالانفعال والرغبة الجياشة.

تشير الدلائل إلى أن هاملتون كان رجلاً عنجهياً صلفاً، وقحاً، فظاً، تولدت لديه مشاعر الوله للصبيه، حاجة ملحة لأن يكون معهم دائماً، صبيه تقترب أعمارهم من البلوغ سن المراهقه، هذا يشير إلى طفولة ومراهقه هاملتون، ومامر به من تجارب في هاتين المرحلتين، ويبدو أنه ربما تعلق بصبي، أو شاب يكبره في السن بشكل عاطفى مؤثر، ولما نضج وكبر في السن ظل تأثير تجاربه الحياتية السابقة عالقاً به، ومن هنا فإن مشاعر الحب بالترابط مع الأولاد في المراحل الأولى من حياته استمرت معه لاحقاً، لكنها تحولت الى أولاد آخرين، وتكونت وتشكلت بحيث صارت هى القوة الأكبر التى حركت حياة هاملتون، بحيث صارت كل نشاطاته واهتماماته في الحياة تتركز حول التغذية وتقوية تلك الرغبة في أن يظل بين ومع الصبيه.

* سر خطابه!

إن خطابات هاملتون لبعض الآباء في بلدة (دبلين) أوضحت كيف صار الرجل في حاجة أكثر لهم (لأولادهم)، وكلما أصبح أيضاً ناقداً لتصرفاتهم وناقماً عليهم، كان يحلم ويتوقع منهم أن يرتفعوا فوق مستوى

الشائعات، وأن يرويه فوق مستوى الشبهات، وأن يعترفوا به كبطل وقائد مضحى من أجل الأولاد.

كتب هاملتون في أغسطس عام ٩٥ لأحد الأسر قائلاً: "إن تلك الإشاعة، وذلك الهمس ليس له أساس من الصحة، إنه عار، ولقد تم تداوله عن عمد للإساءة إلى".

وعلى الرغم من كل توسلات هاملتون أصر الآباء في (دنبلين) على إبعاد أولادهم عنه، وبالتالي أصبح أكثر إحباطاً، وانعكس ذلك في رسالة منه إلى وزير شئون إسكتلندا شاكياً فيها من أن عدد الأولاد في ناديه قد انخسر وصار خمسة بعد أن كان سبعين! قال الرجل: إنه ليس شاذاً جنسياً، وأنه عشقه للصبيّة ماهو إلا مجرد حب برئ؟! لقد كان هاملتون، وعلى مدى عشرين سنة موضع شك وشكاوى وتحقيقات، والذي لم يثبت عملياً أنه تورط جنسياً، لكنه كان مهتماً بالأولاد اهتماماً جنسياً غير عادى، بمعنى أن حالة الوجدان والعاطفة بين رجل غريب، وصبيّة آخرين هى حالة غير مفهومة، وغير مفسر، وليس لها معنى سوى أنها غير سوية بالمعنى المجازى، أى أنه استغل الصبيّة لإشباع رغباته النفسية الجنسية دون الحاجة الى ممارسة جسدية جنسية، ولقد كانت تلك الرغبة جامحة جارفة عنيفة عارمة الى حد أنه مع فقدانه لموارد مادية ولاعتباره النفسى لم يتدخل عن حبه للأولاد، ولم يستطع الانفصال عن "صبيانه".

فى ذلك الصباح المشوم صافح جيرانه، وجهه المبتسم فى هدوء لم يكن كما كان قلقاً بما يخص انعزاله واقامه، رفع هامته وشق طريقه إلى مدرسة دنبلين الابتدائية، كان من الممكن أن يقتحم أى فصل دراسى، ولم يتوجه إلى صبيّة ربما أثاروا رغبته وحسه الجنسى، لكنه توجه إلى صالة

الألعاب الرياضية (الجمتريوم)، والمكان هنا له دلالة وأهميته، فهو الذى كان يضمه وصيبته، وهو الذى شهد على قيمته، وهو الذى أتاح له إرضاء شهوته وعاطفته المتأججة، وهو الذى فيه كان ماكان قبل أن يحرم من كل ما اشتهاه، واندفع إلى أطفال مابين الخامسة والسادسة من العمر، ولم يكن مجنوناً يصرخ ويطلق النار فى كل اتجاه، لكنه كان يقتل بحرفة ودقة من حضر وأعد للأمر منذ زمن، ولما رفع مسدسه لقتل الطفل الأول لم يحس بأية عاطفة غير الغضب، ثم حركها للطفل الثانى، وأطلق النار بسرعة، مرة أخرى حسب منهج محدد بدقة، لم ير هاملتون الأطفال بعينى بشر، كان يتخيل الحزن والأسى، والألم والحسرة فى كل أسرة رفضته ونبذته فى دنبلين، لقد كان متأكداً أنهم يستحقون ذلك، كان هاملتون يرتدى سدادات للأذن تمنع عنه الصوت: الدوى والصراخ والعيول، حتى لاينصرف الى غير مهمته، وحتى ولو إلى درجة طفيفة يسمع أنين الأطفال وهم فى حشجة الموت.

كان هاملتون عارفاً، مخططاً، متأكداً من أنه سينتحر فيما بعد، لقد أثبت أنه فى موقع التحكم والسيطرة، لم يسمح لأحد بأن يحاصره، أو يقتله.

ربما أراد الناس أن يروا مجنوناً مختلاً عقلياً مريضاً بالاضطهاد الذى دفعه الى تلك الفعلية الشنعاء، كان يريد بقتله الأطفال الأبرياء قتل رجال المجلس المحلى، المدرسين، رجال الشرطة، مسئولى الكشافة، إنه وجه ضربته إلى من آلموه جداً، الآباء فى دنبلين، أن يحرمهم ويحول حياتهم أبداً الدهر الى عذاب، أن يأخذ أولادهم الى الموت، معه، طالما أنهم لم يمكنوه منهم أحياء.

التحليل النفسى لقاتلة زوجها فى مدينة السلام"^{١٨}

وكما نحاول أن نأخذ التاريخ الطبى النفسى للحالة فهى (بنت عادية) لكن (أبوها غصبها على الجوازة)، هذه هى بداية الشؤم والاضطراب، الغضب والسخط وعدم الرضا، فمممكن أن تغضب البنت على لبس معين، على تعليم معين، على أكل. لكن على جواز؟ لا.... دى عشرة وجنس وملاصقه وحياة. الغضب فيها زناد يضغط عليه ليفجر بركان الغضب. والسؤال الآن هل كل بنت تغضب على ذلك تقتل؟ بالطبع لا. لكن من المؤكد أن كل بنت تغضب على الزواج وتكره عليه، تكره الزوج والزواج وتسعى إلى الهروب منه ، لكن هل كل المكروهات على الزواج يتحالفن مع عشاقهن ليقتلن أزواجهن؟ أم أن المسألة أبعد وأعظم بل وأخطر من ذلك؟! "ميدو" العشيق الميكانيكى كانت تحبه الزوجة قبل زواجها من الجنى عليه، كانت تردد على المحل الذى يبيع كروت وإكسسوارات الموبايل. هناك إهمال من (طارق) الزوج فكانت الزوجة تلجأ إلى شقة أبيها ثم خالتها التى لم تعترض على لقاءهما السرية نظير النقود والهدايا؟! وتتابع القصة بدس الحبوب المنومة فى الشاى للزوج الذى فقد الوعى. خرجت الزوجة لترضع ابنتها. عادت إلى غرفة نوم الزوجية بعدها بربع ساعة وجدت العشيق "ميدو" يخنق زوجها بالإيثارب، قتله، صرخت الزوجة، دخل القاتل إلى الحمام، توضأ، ثم صلى؟! وأستغفر ربنا! ثم بكى بشدة، وجاء على صدرى، ثم مارس معى الجنس كل هذا على رأس الجثة. تتابع (مجنون) بالمعنى (الذهان) أى (الاضطراب العقلى الشديد على رغم وضوح الخطأ من الصواب ورغم أن النية كانت مبيتة، وضوء، صلاة، استغفار للرب، بكاء،

¹⁸ المؤلف ، مجلة روزا اليوسف ، مصر ، أغسطس ، ٢٠٠٤.

كالطفل يجئ على الصدر، ممارسة الجنس مع العشيقة زوجة القتيل، على سرير، وهو ملقى على الأرض جثة هامدة. مسألة مرعبة للغاية لا بد من استكمال حلقاتها بأن القاتل بجانب شخصيته السيكوباتية القيمة غالبا ما كان تحت تأثير المخدرات، ثانيا تواضع مستواه الفكرى والنفسى للغاية، فلا يهتم من أمور الدنيا إلاّ الفلوس، شراء اللذة المحرمة، الترتيب والتدبير وتلك الرغبة الجامحة الجانحة لممارسة طقوس تتعارض مع الحالة ومع الحدث هنا العنف القدر الناعم المسحوب (تخدير ثم خنق) وطقوس لف الجثة في الكوفرة، وكأنه في حالاته التى تبدو طبيعية للناس وأنه يدخل في إطار (الفانتازيا المريضة) وكأنه يمثل فيلماً ويقوم بأدائه في صمت. منتهى التناقض الذهني والوجداني والمعرفي، وكأن القتل بالنسبة له كاللعب بدمية. أو كأنه يستخرج دميته -لعبته عروسته- من البني آدم حاملا معه كل الخيالات الشاذة والمريضة والمثيرة للاشمئزاز، وكأننا أمام فيلم رعب فظيع. وهكذا كان (ميدو) الذى دلغ نفسه وخلق من فقره النفسى عالماً ثرياً حافلاً بالمشترقات وضعها كلها في الحدث الغريب للغاية فهو أمام لعبة - بنى آدم - يسخر منه يمارس الجنس على سرير، ومع زوجته وهو فاقد الحياة مسجى على الأرض للأبد، وكأنه يلعب، وكأنه قط شوارعى مجرم اصطاد فأراً أنيقاً أبيض تسلى به بعد أن قتله. وهناك من علماء النفس التحليليين وعلماء الجريمة من يقول إنه في العقل الباطن لكل بنى آدم ترقد روح القاتل.

لكن ماهو الطبيعي والشاذ في إطار كل ذلك، أحيانا يكون من الصعب جداً فهم مسألة القتل في إطار الجنس والوضوء، والصلاة، وكأنها التآرجح بين حالتي الملاك والشیطان، وكأنها الفانتازيا السادية (التي تستمد متعتها من العنف والعذاب والألم) هنا أيضا لا يجب أن ننسى ذلك الإحساس الاضطهادى المتكوّن والمتحوصل داخل ذات (ميدو) بعد أن

تزوجت حبيبته، وهكذا فكان الأمر بالنسبة له ليس أن ينتقم من طارق الزوج بقدر ما يمارس طقوساً غريبة الشأن تدل على تصدع الأنا وتشقق الذات وتفتتها، مما يدعو إلى تأمل علاقة الثلاثي: القتال، المقتول، والعشيقة -زوجة المقتول-، والتي (كده دون خوف) نامت مع عشيقها مارست الجنس برائحة الموت على سرير المقتول، وكأنها التراجيديا الإغريقية النارية تزيد تعقد النفس الإنسانية، تركنا وتركنا حيارى داخلياً وخارجياً. وكأنه هوس مركب من نوع الاضطراب النفسي الجنسي، العدوان الشديد والمرتبط بالجنس الفاحش بشكل مرضي (Psychopathic Sexualis).

ما بين "أرخص الليالى وأغلاها (إدمان الجنس والموت)"^{١٩}

عندما كتب يوسف إدريس (أرخص ليالى) كان يتحدث عن قري
بلا كهرياء وبلا (دش)، وعمل ينتهى بانتهاى النهار.. ولقاءات ممتعة بين
الأزواج فيها اقتراب وحميمية .. وجنس رائع، لم يدر بخلده أنها ستكون فى
الألفية الثالثة (أعلى ليالى). بمعنى ثمن الفياجرا، وإرهاق العمل، واستخدام
الجنس كمتنفس فى ليل منهك يجئ بعد نهار ملئ بالإرهاق والإحباط للزوج
وللزوجة.

يقول الخبير: قامت ربة منزل (نجوى أ. ع) بقتل زوجها بسبب
شجارها ولاعتياده على ممارسة (حقوقه الشرعية) فى الأيام الأخيرة بشكل
يومي، لتناوله منشطات، مما أرهاقها جسدياً، فاضطرت إلى طعنه بسكين بعد
رفضها لمعاشرته، ولضربه لها بشكل جنونى. (محمد الغبيرى — ١٢ / ٧ /
٢٠٠٤) أدمن الزوج الفياجرا، أصر على معاشرتها جنسياً بعد الانتهاء من
عمله وعودته فى منتصف الليل. بعد استسلامها للنوم - بعد عناء يوم شاق
فى خدمة بيتها وأولادها - ازدادت رغبته فى (ممارسة الجنس) على خلاف ما
اعتاد عليه فى السنوات العشر الماضية منذ زواجهما، اعتاد الحصول على
(حقوقه) ونزواته بوحشية وحيوانية لم تطق ممارستها. عاد الزوج، أيقظ
زوجته لإعداد الطعام أثناء استحمامه، وعند خروجه حاول أن ينال منها
لكنها نهرته بشدة فاعتدى عليها وحاول اغتصابها، تعالت صرخاتها حاول
كنم أنفاسها (خشية استيقاظ الجيران) ثم انمال عليها ضرباً، فأسرعت نحو

¹⁹ المؤلف، روزا اليوسف، ٢٠٠٤.

المطبخ وأحضرت سكيناً وقامت بطعنه عدة مرات حتى مات، ثم قامت بسحب جثته، وألقت بها أمام المنزل (حيث تقطن بالطابق الأرضي). تلقت مديرية أمن الغربية بلاغاً بالعثور على جثة محمد قناوى (٤٥ سنة)، وألقت القبض على الزوجة.

لنا أن نتأمل الخير - الحادث - بشكل تحليلي فهناك (الشجار الدائم) وهناك (عمل الزوج حتى منتصف الليل) و(عمل الزوجة في خدمة البيت والأولاد طول النهار)، هناك إجهاد لدى الزوجين، وفقدان للوقت والحب والعشرة، وهناك حياة جنسية عادية لمدة عشر سنوات زواج. ثم فجأة لجأ الزوج إلى (الفياجرا) ربما لبث الثقة في نفسه، ربما للتسلية، ربما لثقافة روجها له زملاؤه، وربما للتمكن من ممارسة يومية غالباً (دون متعة)، لكن لتفريغ الإجهاد، هناك تناقض شديد بين ضياع الوقت وتمزقه، وحالة (الشجار الدائم)، هل هي حقوق الزوج فعلاً؟! وأين هي حقوق الزوجة، وما هو معنى الحقوق الزوجية (أليست للطرفين سوياً؟)...

العنف المنزلي، هو يأتي بعد منتصف الليل حتماً مجهداً - ربما مثقلاً بالهموم - يوقظها من نومها (دون أى مراعاة لحقها في الخلود إلى الراحة) ... يضربها ويكتم أنفاسها لتفادى الفضيحة :عنف جسدى وجنسى ينتهى بها إلى قتله تخلصاً من آلامها ولضعفها تجاه تحولاته النفسية، ورغباته الاصطناعية.

الفياجرا عقار مهم عاجل حالات كثيرة، لكنه يتحول إلى عقار خطر في أيدي من يستخدمونه لإثبات الفحولة، وإلى إطالة مدة المعاشرة دون أى مراعاة للطرف الآخر، والفياجرا يمكن الإدمان لها لسببين: إن الرجال الذين تعودوا على استخدامه باستمرار (يوميًا) مثلاً قد رغبوا مسألة

البحث عن المتعة في الحبة الزرقاء، وأن الحياة الجنسية بدون العقار قد تصبح سخيفة وعادية (مثل حلالة الذن حسب قول أحدهم). مع بعض الرجال يصبح أدائهم الجنسي مرتبط بالفياجرا، وينخفض مستوى الأداء مع مرور الوقت ويرتبط به ارتباطاً شرطياً وعضوياً فيحتاج إلى زيادة الجرعة، وقد لا يتمكن من الانتصاب إلا بعد ابتلاع حبة.

وقد تكون المسألة نفسية بحتة اعتقاداً من مدمن الفياجرا أنه سيفشل بدونها فيفادى عدم أخذها، ولا يرغب بل يخشى ممارسة الجنس بدونها.

العيادة النفسية الجنسية مليئة بالحالات التي يمكن أن نطلق عليها (الإدمان الجنسي) أو (إدمان الجنس)، فرجل متزوج وله من الأولاد ثلاثة يمارس العادة السرية بعد معاشرة امرأته، ثم ينطلق عبر الإنترنت ليمارسها مرة أخرى مع المواقع الإباحية ولا يتوانى عن البحث عن (صديقة) يشبع معها رغبته في الطريق العام (سطحياً) دون التورط في زواج أو غيره. وآخر تركه زوجته لإصراره على الممارسة يومياً بشكل عشوائي يفتقد إلى التواصل والحميمية، ثم تزوج من أخرى جميلة ومحترمة، ووجد نفسه خائفاً يهيمهم (أشعر بفقدان لحياتي) (بدأت أخرف وبدل ما أقيم علاقة واحدة خارج الزواج أقمت ثلاثة، وأحدث رابعة حديثاً جنساً فجأ عبر التليفون.

إدمان الجنس لا يزال تشخيصاً حذراً يحتاج إلى دقة لكن هل يمكن الإدمان — حقاً — على الجنس، فالجنس يبدأ من المخ — من الخيالات والتصورات — الرغبات والأمان، وغالباً ما يكون هناك استعداد بيولوجي للإفراط في الممارسة الجنسية وإدمانها وهنا يجب التفريق بين التعبير الإنجليزي: ممارسة الحب (Making Love)، وبين (ممارسة الجنس

(Having Sex)، ويقولون لا حب حقيقى بدون جنس لكن من الممكن التعاطى مع الجنس بدون حب.

ومما لاشك فيه أن السلوك الجنسى قد يصبح نوعاً من الوسواس القهرى، بمعنى (سلوك جنسى يتخذ شكل الوسواس الذى يقهر صاحبه - ويتمكن منه فيصبح عبداً له)، ويعتقد أن الحافز لهذا السلوك (عصى) فعندما نثار يتدفق (الأدرينالين) ويرتفع مستوى (الإندروفين) — هرمون البهجة والنشوة والمتعة) فى الدم.

كما يتحول مادة الدوبامين إلى حافز فكرى أساسى مما يؤدى إلى زيادة وطفرة فى مادة (السيروتونين).. المادة الأساسية للمزاج، والمفتقدة فى معظم حالات الاكتئاب. الإنسان (العادى) يمكنه التحكم فى رغباته لكن (الموسوس جنسياً) لا يتمكن من ذلك فيثار بسرعة وبشدة ولا نستطيع التفكير فى أى شىء إلاّ إشباع رغبته الجنسية.

الرجل الصحيح نفسياً يكون هدفه (المتعة الجنسية) بينما (مدمن الجنس) يكون هدفه القهرى هو أن يظل مثاراً لأطول مدة من أجل تقاضى أى اهتبار نفسى، كيميائى أو معنوى.

لكن ترى ما هو التعريف العلمى للإدمان على الجنس؟
إنه تلك الحالة التى يفرغ الناس فيها أحاسيسهم ويتعاملون مع (الإجهاد العصى) — مثل حالة القاتل محمد قناوى — بالراحة الجنسية المفتعلة وكأنه يتناول مهدئاً أو يمارس السباحة مثلاً.

هنا يصبح الجنس أهم إن لم يكن العنصر الأوحد لتفريغ الإجهاد والتوتر وحلّ مشاكلهما.

وغالباً أن المدمن على الجنس لا يتمكن من التوقف عن عاداته بمفرده، وهو كذلك يقضى وقتاً طويلاً في خيالاته وسلوكياته ذات الطابع الجنسي.

لكن لماذا يصبح البعض مدمناً على الجنس؟

بالطبع فإن كل حالة تختلف باختلاف صاحبها، لكن هناك أسباب بيولوجية تحدثنا عنها سابقاً (بمعنى استعداد كيميائي عصبي متعلق بمراكز الشهوة). بمعنى أن الجسم مستقبلاً (للإنكافيلينات Enkephalins) : كيميائيات المخ مبدئياً من خلال تعزيز (حالة التخيل) المرتبطة بعملية القذف المستولدة عن إفراز تلك المواد في المخ. سيكولوجياً فإن الحاجة إلى الهروب (جسدياً)، (انفعالياً) أو بسوء استخدام الجنس الطبيعي مثل إدمان المخدرات فالبحت عن (المخدر) يوازي البحث عن (الجنس).

هنا يبرز سؤال مهم: تُرى ما هو الفرق بين ارتفاع معدل الطاقة الجنسية عن الطبيعي وبين الإدمان الجنسي؟

الإنسان (رجلاً كان أم امرأة) بطاقة جنس عالية يشبعون من الجنس لكن المدمن عليه لا، فالإدمان على الجنس حالة من الهوس تسيطر على (المدمن) ولا يتمكن منها فكاكاً، ولا يقبل أن ترفضه زوجته إطلاقاً تحت أى دعوى مثل الحالة التى شرحناها في بداية الدراسة، أما أغرب الحالات فهى تلك التى يدمن فيها (العازب) على الجنس (دون نساء). بمعنى أنه يفقد شهيته الجنسية الحقيقية، ويستبدل الممارسة الجنسية بعالم من الخيال

(جنس متخيل مع أخريات شهيرات أو مفترضات). ما هو شكل حياة الزوجة مع زوجها الذى أصبح مدمناً جنسياً عادة تكون عذاباً وإرهاقاً وشكلاً ميكانيكياً للعلاقة الحميمة يشوبها إحساس شديد بالوحدة (حتى وهى وسط الآخرين) لا تتمكن من إخبار أى أحد (فالموضوع حساس وجارح) لهذا فجأة يمكن أن تنفجر وتسحب السكين وتقتل، وترمى بالجثة إلى عرض الشارع!!

ويتملكها شعور غريب باليأس وعدم القدرة على التأقلم مع الواقع المعاش فى حياة محورها (الغضب) . تحكى إحدى النسوة أن زوجها فى البداية عانى من بعض الضعف، فغالباً خاف ولجأ إلى (الفياجرا) وأصبح يمارس معها الجنس كل ليلة لأكثر من مرة حتى صارت تبكى وتترف، وكان أيضاً يوقظها من نومها ليمارس نشاطه الليلي فصارت له جسداً بدون روح وأخيراً انفصلت هربت إلى بيت أبيها طالبة الطلاق. الزوجة فى مثل تلك الحالات تفقد قوتها وقيمتها وتكون تحت رحمة الزوج المدمن جنسياً وتحت سيطرته.

الإدمان على الجنس مشكلة قديمة تاريخياً وضحت صورتها منذ حوالى (٣٠ سنة) فقط واتخذت شكلاً علمياً أكبر فى أواخر السبعينيات عندما بدأ "باتريك كارنر" الباحث الأمريكى دراساته وهو يقول (على عكس الاستمتاع بالجنس كمصدر للمتعة الجسدية فإن مدمن الجنس يعتمد على الجنس ليرتاح من ألم، ومن توتر وإجهاد ومن خلال بحث على (١٥٠٠) مدمن جنسى فى الولايات المتحدة وجد كارنر حوالى (٨%) من الرجال فى أمريكا كانوا مدمنين جنسياً فى مقابل (٣%) للنساء). (يعنى أن ١٥ مليون امرأة ورجل يعانون من تلك المشكلة).

فهل نحتاج إلى بحث مصرى يتعمق فى قضايا العنف والجنس؟! هل نحتاج إلى ترشيد استخدام المنشطات الجنسية، هل نحتاج إلى توعية أكثر بالمشكلة والقضايا الأخرى التى تغفأها. وهل نحتاج إلى وقفة مع الثقافة الشعبية ومحلات العطاراة والمفاهيم المغلوطة.. نعم بلا أدنى شك!

قتل الأزواج... لماذا؟!

مما لاشك فيه أننا أمام ظاهرة مقلقة ليس هناك داعٍ للتخفيف منها أو إهمالها تحت دعوى أنها ظاهرة، وأيضاً لا داعي للاستخفاف بها عن طريق المداعبة والتنكيت، ولا داعي أيضاً للتضخيم منها فينتشر الذعر بيننا، ونصرح باننا مجتمع عنيف وعلى الأزواج أن يحملوا مسدساتهم تحت وسائدهم، وأن يخفوا السواطير، وأخبار القتل عن عيون زوجاتهم، ولا داعي أيضاً لأن نلوى ذراع هذه الأحداث فنسقط عليها الأساطير مثل إيزيس وغيرها فتصبح مادة غير مقبولة لحوار غير منطقي.

علينا أن نحدد المسألة وإن نرى أنها ظاهرة تطفو وتختفى على سطح هذا المجتمع الساخن فالتاريخ يعلمنا أن أحداثاً مشابهة قد حدثت في أوقات متفاوتة لكن تفاعلات المجتمع والرأي العام وأجهزته بكل منها تختلف باختلاف العصر والشكل الاقتصادي والسياسي، والنفسي والاجتماعي لمجموع الناس في جميع أرجاء الوطن.

يجب أيضاً الحذر من الإفراط في الحديث عن المشكلة حتى لا نبدو أمام قرائنا في الدول الأخرى خارج مصر، وكأننا شعب معظم زواجهات قاتلات كما ساهمت من قبل أفلام الفيديو والسينما الرخيصة في إظهارنا بشكل مستخف راقص وأحياناً مبتذل وهي أشياء حساسة ودقيقة يدركها بعمق العاملون والعاملات خارج الوطن المصري والمحبون له دوماً والعاشقون لصورته التريهة دائماً.

وإذا جاز لنا أن ننظر إلى المجتمع البريطاني لرأينا أنه في بداية الثمانينيات اهتمت الصحافة بالطبع بعد اهتمام الشرطة بظاهرة "انتهاك

الأطفال" من قبل الكبار ولأن الاهتمام صار واضحاً على شاشة التلفزيون وفي كل الصحف تقريباً، فإن ثمة وعياً بالمشكلة نما وتحدد وبدأ الناس يبلغون عن كل الحالات دون خوف ودون خجل وبرزت للعامة صور مأساوية، وتورط في الاعتداء والانتهاك رجال من الكبار وظيفه ومقاماً لا نخجل أن نقول إن منهم أطباء ومحامين فأخذت المشكلة حيزها من النقاش وانتهت وتلتها مشكلات اجتماعية أخرى. إذا فهي النفس الإنسانية في ارتباطها الوثيق بالمجتمع حولها بتغيره بسرعة تكوينه بتحولاته وهي المرأة المجرّحة القاتلة، المنتحرة، المكتتبة، النادمة، الباكية، وهي المرأة المحبة (لأن الكاره لا يقتل) وهي بنت مجتمعتها وأسرقتها، وما تقوم به ليس نتاج ما يتفاعل في رأسها أو جسدها فحسب، إنه استخلاص المدرسة والشارع، والتقاليد كذلك، إنه الجذور المسئولة عن النبت والساق والأوراق والثمار والزهور، وهي المرأة أيضاً كما تدلنا الأبحاث العلمية أكثر عرضة للإصابة بالمرض النفسي أكثر شفافية، أكثر رقة، وأكثر عنفاً حينما تستخدم الأمور. فإذا حللنا باختصار حالة الهرم لوجدنا أن التسلسل الزمني (الكرونولوجي) للتاريخ الحياتي الأسرى يدلنا على نمو مادي أدى إلى تحسن معيشي وثراء محدود نعم به الزوج أساساً، كادت تكون ثمرته الارتباط بزوجة أصغر، وعدم الالتفات إلى الأم التي ربت خمسة فتقدمت في السن ناهيك عن أهم الأمور وهي الهجر الزوجي والرفض والنبد وعدم الاحترام والطلاق العاطفي يقابل كل هذا في حالة الإسكندرية استغلال نفسى ومادى قاس، ومتورط ومتبجح وغير عابئ بأبسط المشاعر الإنسانية وهكذا فإن المادة والتواصل تسببا سلباً وإيجاباً في دفع المرأة إلى الانتحار بقتل من تحب، وهو قتل ممتد للنفس لأن القاتل هنا غير القاتل السيكوباتي مضطرب الشخصية الذى يقتل للسرقة أو للمتعة أو لأى غرض آخر دون إحساس بالذنب أو الندم.

نعود إلى المرأة القاتلة ونود أن نوضح أن ما ذكرناه ليس دفاعاً عنها بقدر ما هو دفاع عن الأسرة، وعن الرجل، وعن الأولاد، وعن المجتمع من أجل مستقبل أفضل، وليس مثيراً للضحك أن يقول أحد الأزواج بعد تلك الحوادث إنه قد حسن من معاملته لزوجته جداً، لسنا بحاجة لأن نقرأ أخبار قتل الزوجات للأزواج حتى نحسن من علاقاتنا ببعض ككل كزوجين، كرفقاء عمل، كجيران، كأصدقاء حقاً تطحنها ظروف الحياة وتقسو علينا لكننا لا يجب أن نسمح أن تقتل فينا الأشياء الحلوة قبل أن تقتلنا، لنا أن نكون طموحين دون جشع أن نكون محبين دون إفراط، أن نعمل ونعرق ونكد دون أن نهمل بيتنا وأسرتنا وقلوبنا أكبادنا، فلا خوف ولا فزع بل حرص وبحث عن الإنسان داخلنا عن القيمة لا المادة عن القناعة والبساطة والاستمتاع بما هو متاح عن التواصل لا الجفاء وعن الشفافية والسمو لا التوحش والتدني تحت وطأة كل ما هو ضاغط ومرهق ومستفز.

الفصل الثالث

اغتصاب وشدوذ

الأبعاد النفسية لانتهاك الأطفال جنسياً^{٢٠}

أثارت حادثة انتهاك الأطفال جنسياً في حضانة المعادى وغيرها، بصرف النظر عن الأبعاد الكثيرة التي تناولتها الصحافة مؤخراً لأننا بصدد (مرض جنسى) موجود في كل أنحاء العالم لكن نظراً بالطبيعة الخاصة بنا فإن ثمة أبعاداً يجب توضيحها فيما يخص الرجال المصابين بهذا المرض دون سواهم ، التنكر، الإنكار ، وبالتالي التغطية، ونزع الحساسية عنه مما يوحى بأن الأمر عادى ، وبمجرد ظاهرة ليس فيها ما يشين ، ومن ثم ليس مرضاً يستحق العلاج .

كما أن هناك حالات يتم فيها الاغتصاب من أكثر من رجل لطفل أو مراهق ، وهم تحت تأثير الخمر، وعندما يفيقون، ويدركون بشاعة الأمر غالباً ما يقتلون ضحيتهم.

حينما يتم انتهاك الأطفال جنسياً أى اغتصابهم قهراً وعنفاً ، تنتشر الضحايا المشوهة نفسياً ، جنسياً ونفسياً في أرجاء الأرض يعيشون فيها فساداً ، ينتقمون لكيانهم المجروح بالعبث بأعراض الآخرين منتهكين حرمة الأطفال ، بنفس الطريقة التي ربما أنتهكوا بها ، كما قال لى أحد الضحايا الممرض : إننى أكره البشر أجمعين ، كلهم ، ولا أثق فى أى منهم ، وأود الانتقام بشتى الطرق من كل من تناح لى فرصة الاختلاء به ، وبصرف النظر عن طبيعته ، جنسيته ، جنسه ، ودون التفكير مطلقاً فى جدوى العالم الغربى والمتشابك، والمعقد من الثروة الزائفة ، والمظاهر الكاذبة ، القهر المعنوى ، التسلط ،

²⁰ نشرت للمؤلف ، صباح الخير ، مصر ، ٢٠٠٧.

العنف اليومي ، الجنسيات المختلفة ، إلى العالم الحقيقي حيث يعيش الناس في حياتهم اليومية بكل ما يشوبها من مشكلات وأخطاء ..

نعم انتهاك الأطفال والاغتصاب الجنسي يتم يوميا في كل أنحاء العالم، ويتعامل معه أطباء النفس الشرعيون، والأطباء، وعلماء الاجتماع والمسئولون، ورجال القانون - حتما - بشكل مختلف تماما عما يحدث عندنا . إننا أمام ظاهرة شاذة فاقت التشخيصات والتصورات من إرهاب المعلم والمربي وهتك أعراض الأطفال.

هناك بالفعل نوعان من أنواع الانتهاك الجنسي للأطفال نوع يتعلق بالهوس ، بالحرية الشديدة المتاحة ، بالانحلال ، بعكس ما يعتقد أنه نتيجة الكبت والقهر.

هناك منطق القهر التلذذ بالانتهاك، السيطرة، القوة، القسر، العنف، المدرس أو (المستر) تكون سيطرته على رغباته مفقودة في إذلال الإنسان والحضارة والاعتداء الجنسي على الأطفال يأتي من تحرر شديد فالنساء متاحة والدعارة متاحة السؤال الآن لماذا؟! وهناك كل العوامل والانفتاحات ، لم التوجه نحو طفل برىء هتك عرضه ثم جلد أبيه؟.. إن المسألة في رأيي تتعلق بالمجتمع ككل والتغيرات الرهيبة التي حدثت فيه مما أثر على تربيته ،

إنما نوع من (الفيتشية) التعلق الجنسي المريض بشيء يكون هنا (الطفل) أم أنه مرض نفسي جنسي آخر يصطلح عليه بال (بيدوفيليا PAEDOPHILIA) وهو الشذوذ الجنسي الذي يقوم على أساس تحقيق النشوة عن طريق الاتصال الجنسي بالصغار وهناك نظريات علمية تفسر هذا الفعل الغريب أهمها ما يسمى بـ (العقدة اللب CORE COMPLEX)

حيث هناك داخل كل فاعل جنسى بالصغار ، يرقد في تكوينه النفسى مكونات وعوامل تستقى أطوارها الأولى من مراحل نموه البدائية (وهذا ما يجعل أمرا مثل ذلك منتشرًا ومقبولا ، مليئا بالغموض وبالتخفى ، وبالإخفاء وبالفرحة ، بالتلذذ ويكون جزءا من التكوين النفسى، والاجتماعى والثقافى لتلك الشعوب فى الجزيرة العربية) . بمعنى أن الأم، والأب، والمجتمع ، المدرسة (ناظرها ومدرسيها) يطبعون الأسس الأولى لتطور الإنسان ونمو شخصيته والثمرة تظهر فى ممارساته المختلفة بدءا من سن المراهقة وحتى مماته ، فهو هنا تحديدا ، مضطرب وجدانيا ، مشحون بانفعالات شبقية تسيطر عليه بشدة ، تهيمن على تفكيره، توحى إليه بضرورة أن " يمتلك، " أن " يحتوى " أن " يتلبس " ذلك الطفل أن يخرق كيانه وأن يودى هذا إلى انسحابه إلى داخل نفسه المعذبة (غالبا أنها عذبت فى طفولتها بالحرمان من الحنان ، وعذبت فى مراهقتها بتناقضات الأشياء وصلف المجتمع ، غياب القدوة ، وانعدام الصدق ، وسيطرة التخلف بكل أبعاده) يودى كل هذا إلى حب مرضى للذات ، نرجسية فظيعة ، تحوى فى طياتها كافة، وفقر نفسى ووجدانى ، ضعف فكرى، وإحساس دفين بعدم الأهمية بالوضاعة واحتقار الذات (الثروة والجاه من حولك ، الناس فى العمل يحترمونك ، لكنك ، أمام نفسك مجرد حشرة ، حينما تنظر إلى المرأة تتذكر كيف ربك الخادمة الآسيوية ، وكيف أغتصبك جارك أو خالك أو ابن الحى الأكبر ، وتتذكر أنك على الرغم من نجاحك الوظيفى تدرى فى أعماقك أنك وضع ، لاشئ ، حتى فى تلك اللحظة التى تنام فيها مع زوجتك فى الليل تقوم بواجبك بآلية رتيبة تسكب فيها ماء الحياة دون تلذذ لا يكون إلا بالسيطرة على الآخرين ، باختراقهم ، بتملكهم وبإبادتهم ، نعم ، حتى أتمكن من التعويض) .

خلال عملي كطبيب نفسي ما يفسر على الرغم من عكس ما قد يعتقد البعض فإنه يعاني هؤلاء الرجال / نصف الرجال / أشباه الرجال من العجز الجنسي والرغبة العارمة في التفوق والانزعاج الخائف والعيط لفقدان القدرة الجنسية ربما لأنها هي كل ما بقي على رغم من العز والجاه لأنها الرمز الوحيد الحي الملىء بالدماء والمنتشرة فيه الأعصاب الذي يدل على الحياة وعلى إمكانية السيطرة على الآخرين ، على الأطفال ، على أحداث الألم وإحداث الضجة أو شراء الصمت ونشر القسوة .

العامل الآخر والهام الذي يعاني فيه الإنسان ، الخوف من الآخر الغريب ، العدوانية تجاهه دون ما سبب ، فقدان التماسك الأسرى والسلام الداخلي لماذا لا بد من العدوان عليه؟ ، من تحطيمه تماما ، هذه العدوانية تأخذ الشكل الجنسي ، ومن ثم تتحول الرغبة من التدمير إلى إحداث الألم ، التعذيب ، الانتهاك ، القهر ، وهي (سادية) بذور العنف البشري الخالص

كل هذه الرؤى والأحاسيس ، تلك الرغبات العنيفة والخوف المرضى من الفناء ، من الحرمان ، هذا التقوقع الترجسي المريض المقرون بالاكنتاب الحاد واحتقار النفس ، ، ثم تلك العدوانية البشعة وما هو أبعد منها : التلفيق ، التواطؤ ، يكاد يتلخص في (التلذذ الجنسي بإحداث الألم وبالإحساس به - الساد وماسوشية SADOMSOCHISM) كل تلك المكونات وعناصر الطبخة البشرية المتحركة تحت غطرة وعقال بأكثر من ألف وجه متغضبن وتحت غطرة مادية وتكييف هواء وخواء داخلي منقطع النظر .

إن الشاذ جنسياً، المنتهك أعراض الأطفال، بمرجسية الشديدة ، بحبه، وهو يعدل من وضع الغطرة متلفحا بالعطور الهندية كأنه السيد المطاع يبحث عن ضحية يفرق فيها نشوته التي هي ليست جنسية بقدر ما هي شخصية، إنه يحاول تحقيق ذاته عن طريق انتهاك عرض طفل ، يرضى غرور ذاته المشروخة دون الاعتبار لفردية أو إنسانية ضحيته ، أى نوع من البشر هذا ، أقرب إلى الحيوان الذى يروع ضحيته من أجل أن يشرب دماءها أو أن يلحها فقط من الخلف .

إن الفقر فى العلاقات الإنسانية ، وعد القدرة على التواصل الاجتماعى ، وانعدام الحياة بشكلها الطبيعى من لقاء وتبادل معرفة وانسجام واختلاف يعود بالإنسان إلى بدائته، إلى أن يكون الإنسان الأول مع الفارق ، هذا الوحش الإنسانى الحالى ، هنا تكمن حدة الصراع النفسى وتعالى درجة توتره وتزداد حدة انفعاله ، هو خائف من فقدان تلك الأشياء وهى أيضا من أسباب تعاسته لأنه وبسبب طفولته وتركيبته ، بسبب مجتمعه وترتيباته ، بسبب نشأته وتربيته لا يتمكن من تحقيق التوازن النفسى اللازم للإنسان الطبيعى، هذا الإنسان شاذ بكل المقاييس وانتهاك عرض طفل ما هو إلا عرض من أعراض توتره الاجتماعى ، انفصاله عن ذاته وخوفه الشديد من نفسه ومن الآخرين .

وكما ينتهك الطفل الذكر من الرجل الشاذ يُنتهك أيضا من المرأة المعقدة التى لها نفس صفات الرجل الشاذ التى ذكرناها سابقا غير أنها تغتصب طفلا فى الثامنة بتعريته وضغطه على جهازها التناسلى بشدة وبوقاحة إلى درجة عبر عنها أحد الضحايا قائلا (كنت خائفا إلى درجة

كبيرة ، أحسست بالرعب الشديد والهلع والفزع أحسست أن هذا الشيء سيبتلعني وان تلك الغابة السوداء (من العانة ستغرقني).

الشاذ جنسيا عدواني تجاه الأطفال ، انه أسلوبه في الحياة ن هجة في سبل الدنيا ،(أحداث الألم والتلذذ به) ، وإذا كان يحقق اللذة جنسيا ، وهو هنا يستخدم ميكانيزمات الدفاع المرضية مثل الإسقاط PROJECTION والامتصاص INTROJECTION في الإسقاط يعزو الإنسان دوافعه، وأفكاره، وأفعاله المشحونة بالخوف إلى التغير (الطفل) قريبا من الاعتراف بها وتخفيفا لما يشعر به من الادانه الذاتية، والألم، والتوتر النفسى هنا أن يصبح هو الطفل المنتهك ، فهو المعتدى بشكل أو بآخر يتوحد مع ألم وعار وخجل المعتدى عليه وهو في إطار مجتمعه القاسى جدا يحس كما الطفل أنه (صغير ضئيل ، قليل الحيلة K غير سوى جنسيا واجتماعيا ، وهكذا دواليك).

وربما لعب دور الجاني والقاسى معا ، فإذا ما ظهر الأب الحقيقى غاضبا مدافعا تحوصل الجاني على ذاته داخل نواة مجتمعه يرقد في كبسولتها كالأسد الجبان .

وهو - الجاني - إذا ما كان رقيقا حبوبا تجاه ضحيته فهو يحاول الوصول إلى قرار تلك الأحاسيس المشبعة بأنه (طيب ، حنون) وانه خلوق صادق ورائع؟!.. لكن بفعلته تلك - تماما - يخرج للعالم كله أحاسيسه الطفولية ولأن الوازع الضميرى قاسى في عرف الدين والأخلاق فانه يوجه الضربات التى لا تحتل للطفل وأهله بهاجمه ، ينتقم منه ، والطفل الضحية قد يكون ، دون أن يدري مثيرا لغضب هذا المريض فهو آمن مستقر متصالح مع ذاته .

ووالديه ومحب للدنيا ومقبل عليها ومن ثم فإنه يحفز الجاني ويدعوه إلى اغتصابه والحقن وأحيانا قتله ، كما في حالات كثيرة.

مما لا شك فيه أن الطفل وأهله يعانون الآن من توتر ما بعد الصدمة الذى يترك ندبة من الصعب جدا علاجها ، فهى لا تنسى ، هى محفورة بالنار على العظام ، لكن كل ما يمكن تقديمه هو القليل من درجة وقعها ، من شدتها ، وكما فى الحروب والكوارث وضحايا الاغتصاب والجنس المحرم يمكن عن طريق العلاج النفسى بالحوار، والتقديم السلوكى، والعلاج المعرفى والاسترخاء والاستدعاء، والمهارة فى التعامل مع صور الاعتداء البشعة .

فى الغرب يعالج الجاني بشئ الطرق ، ربما احتجنا إلى هزة عنيفة نخرجنا من صممتنا المريض وعلاقاتنا الهزيلة ونخوئنا البشع ، هذه هى طبيعة الأشياء كما نراها ، وهناك حالات عيادية رأيتها فى الغرب وبعض الدول العربية، وهناك تأويلات رحبة ، وأفكار تتسع للمزيد لكن الأمر بالغ الضخامة، والتعقيد، والصعوبة. بما يدعونا إلى الاكتفاء بهذا القدر من التفسير.

اغتصاب في قاعة المحكمة^{٢١}

القضاء البريطاني يسمح للجاني باستجواب ضحيته، وكأنه يسمح له باغتصابها مرة أخرى على مدى ستة أيام، في قاعة المحكمة وأمام القاضي، المحلفين، البوليس، والناس.

تخلت جوليا ماسون عن حقها في أن تظل هويتها سرًا، وأخبرت صحيفة الديلي ميل قصتها بالتفصيل الممل، جوليا تقول أنها أعلنت قضيتها رغم حساسيتها لتثير الرأي العام، وحتى لا يحدث هذا مرة أخرى لضحية أخرى، لكن هناك تساؤلات تحيط بالموضوع، فذات الـ ٣٨ ربيعاً، حتماً تلقت مكافأة مجزية (جداً) لقاء قصتها وصورتها ببذلة أنيقة، وهي تقول: أنا لست امرأة على حل شعرها، أنا سيدة محترمة، نمت فقط مع خمسة رجال خلال الـ ٣٨ سنة، تزوجت مرتين وفشلت، والآن أعيش مع صديق أكن له كل مودة عندى طفلان وأتبنى آخرين، بعد الكشف عن حكايتها اكتشف أن ولداً عمره ٢٠ سنة كان يعاشرها فجر شقتها بقنبلة مصنوعة منزلياً وحكم عليه بالسجن خمس سنوات في سجن خاص بمن هم دون الـ ٢١ سنة.

تقول جوليا إن راستون إدواردز الذى اغتصبها، اغتصبها مرة أخرى في قاعة المحكمة بعدما طرد محاميه العام، ومن ثم حق له قانونياً أن يدافع عن نفسه وأن يستجوب ضحيته في قفص الاتهام وهي جالسة أمامه في مكان الشهود، حدث هذا في (الأولد بيلي)، كان المغتصب المتهم يرتدى

²¹ المؤلف، صباح الخير، ١٩٩٧.

نفس الملابس (جيتز قذر وسويتز صوف) التي كان يرتديها حين اغتصبها في شقته القذرة ذات الرائحة النتنة، نجح إدواردز في دفع جوليا الى البكاء وترك قاعة المحكمة.

على مدى ١٨ ساعة، قالت جوليا إنها كل يوم - تعيش نفس أحداث الاغتصاب التي تمت على يدى رجل سادى مريض، مقرف، مقزز، ومثير للاشمئزاز. العادة أن يسأل محامى المتهم الضحية أسئلة تناقش الحقائق لكن المتهم هنا يسأل الأسئلة في تعاقب وكأنه يعيد الكرة ويغتصب ضحيته مرة أخرى دون جنس ولكن باستمتاع مختلف ربما أكثر أمام جمع من الناس، لدرجة أن أحد رجال البوليس همس في صوت مسموع لرجل الصحافة: "مما لاشك فيه أن إدواردز يستمتع بمساءلة الضحية، إنه ينتشى جنسياً من التحقق من تفاصيل ماجرى بينه وبينها".

الرجل جهم الملامح، له تاريخ وسوابق في العنف والاعتصاب، يكسب قوته من بيع (الواقى الذكري) للغواني الغريب أن هذه هى المرة الثالثة التي يحقق فيها إدواردز بنفسه مع ضحيته فلقد استجوب سابقاً ضحيتين، وعلى الرغم من الحكم عليه بالسجن قضى مدته وخرج من سجنه غير عابى فإنه بتكرار القصة وتكرار مشهد المحكمة مستمتعاً بكل لحظة من الفعل ورد الفعل، مما دفع وزير الداخلية البريطاني مايكل هوارد الى دراسة الحالة والتشاور للحيلولة دون حدوث ذلك مستقبلاً، وحتى لايتلذذ الجاني بمعنويات فريسته مرة أخرى بعد التلذذ بجسدها.

لما أودعته القاضية آن جودارد الحبس على ذمة التحقيق من أجل فحصه نفسياً لم يرفع رأسه ولم ينظر إليها. قالت له القاضية: (لقد اطلعت على تفاصيل جريمته الأخيرة، وعلى تاريخك الإجرامى وليس لدى أدنى شك

في أنك رجل خطير، آخر حادث له كان عام ١٩٨٤ عندما اغتصب جارته أمام عيني طفلها.

في لحظة من لحظات المساءلة الطويلة، والمرهقة انتفضت جوليا وسألت إدواردز "حتماً تدرك مدى الرعب والهلع الذى عشته معك" لقد قلت لك راجية أننى لأرغب ممارسة الجنس معك، لكنك أصررت على أننى ملكك، واغتصبتنى".

قالت جوليا للصحافة (لقد اغتصببت مرتين مرة في شقة إدواردز القذرة ومرة في قاعة المحكمة؟!)

في أحد أيام ديسمبر الباردة، قررت جوليا أن ترح من بيتها في مقاطعة (كنت) إلى شقة صديقها في جنوب لندن، جمعت كل حاجياتها في شنطة ومضت إلى سيارتها التى لم تعمل، استقلت القطار الذى لم يته به المطاف عند المحطة التى تود جوليا التزول فيها، فقررت أن تستقل الأتوبيس، جلست على الأريكة تنتظر فاقترب منها إدواردز وطلب منها سيجارة، وهنا أحست بخوف غريزى، بعدم راحة وأعطته سيجارتين، أخذهما ومضى، ثم عاد وجلس الى جوارى، اقترب جداً حتى التصق بي، كانت رائحته النتنة تزكم أنفى ورائحة الخمر تخرج من جوفه تمتزج بعرقه وأنفاسه وتكاد تقتلنى، جاء الأتوبيس، واندفعت اليه واندفع هو خلفى، بينى وبينه حقيبة ملابسى توقف الأتوبيس بعيداً عن بيت صديقى، رجوت السائق أن يمضى بعيداً قرب منطقى لكنه رفض، فترلت، ونزل ورائى إدواردز، "إنه حتماً حظى العاثر" سرت مسرعة الخطى إلى بيت (بيللى) خطيبى فوجدت إدواردز يضع يده على، يحيطنى بذراعه ويضمنى إليه في عنف، كنت خائفة ومرعوبة جداً. تمنيت لو رأيت أحد أو لو أحداً رآنى لكن لم يحدث أى من

ذلك، شدني جرّني إلى حارة جانبية وهجم على وأغرقني بلعابه مقبلاً فمي في وحشية. في محاولة مني لإيقافه قلت له إنني حامل ومتزوجة ولدي ستة أطفال ينتظرونني، لكنه همس بفحيح كالأنفى (إنس زوجك وأولادك أنت الآن لي فقط)، دفعني إلى بيته، بيت لم أر مثله قط، خرابة قدرة، رائحة عفنة تفوح من كل الأرجاء، سرير مقزز لاثميه حاشية وإنما رقعة من بطانية قديمة ملأى بالبقع، وسخ وقذارة في كل مكان بلا استثناء.

فتح درجاً متهاكاً بجانب السرير، وكان يحوى مجموعة فظيعة من (الواقى الذكري) وبعض الأغراض الجنسية الأخرى وجيللى لتسهيل العملية الجنسية، وهنا تيقنت تماماً من أنه سيغتصبني.....

في الصباح أخذني - الى بعض المحلات والدكاكين - فكرت في الهروب لكن حقيبي بكل ما أملك من أدوات وبطاقة شخصية، وثائق، صور، لأحلم بفقدانها كانت هناك، في شقته القدرة، أعادني الى شقته حيث اغتصبني مرة أخرى، وأخيراً نام، انتزعت حقيبي وجريت إلى الطريق العام ولم أتوقف. دفعتني الشجاعة إلى البوليس، وذكرت كل شئ تفصيلاً، بعد أسبوع قبض على إدواردز ثم أفرج عنه بضمان محل مسكنه حين التأكد من كلامي عن طريق الفحص الشرعى الجنائى [(للمنى، وأشياء أخرى في تطابق ممارسة الجنس بين جوليا وإدواردز)].

في المحكمة سأل إدواردز جوليا أسئلة كثيرة عن حياتها، وعما إذا كانت قد مارست الجنس بعد الحادثة التى ادعتها فأجابت بنعم مع صديقها، لأنها لم ترد أن تقع فريسة عقدة الاغتصاب، وسألها عما إذا كانت - في المحكمة - ووقت الاغتصاب ترتدى (لباسها) الداخلى أم لا..

من هو الستون إدواردز؟

تصفه الصحافة الشعبية الإنجليزية بأنه مغرور، وقح، شرير، يكره النساء، ويدفعه كرهه لمن إلى العنف.

رجل وحيد، قيل أنه حوكم ثلاث مرات بتهمة الاغتصاب، يميل إلى القصر، ملئ البنيان كانت له صديقة ضربها بهرواة، بعنف ثم جلدتها بأسلاك الكهرباء على مدى ٨ ساعات متواصلة.

رجال المباحث يقولون إنه شاطر، مخاتل، وشديد الغرور، ليست له أى علاقة مع امرأة تنطوى على الحب أو الاحترام، بدأ سجل حياته الإجرامى عام ١٩٧١ وقتها كان عمره ١٧ سنة حينما اعتدى على رجلى بوليس، وفى عام ١٩٨١ سجن أربعة أشهر بتهمة الاعتداء بغرض السرقة، فى سنة ١٩٨٤ تسلق بيت الجيران واعتدى على الجارة أمام ابنها الذى كان عمره ١٦ شهراً فقط، وقضى ثلاث سنوات لهذه الفعلة (١٩٠٠٠!) فى سنة ١٩٨٧ بعد الإفراج عنه اقم بالاغتصاب مرة أخرى لكنه بُرئ بعد أربعة أيام من المحاكمة فى (الأولد بيلى) فى نفس ليلة الافراج عنه هجم على صديقته بشكل سادى متهماً إياها بالنوم مع الرجال، وقضى إدواردز ثلاث سنوات أخرى فى السجن، قال أحد الضباط إنه قضى ٣١ سنة يطارد المجرمين والمغتصبين لكنه لم يلتق شريراً مثل إدواردز قبل ذلك، إنه ظن أن جوليا لن تقر بواقعة اغتصابها للبوليس.

رأى الطب النفسى: أحياناً ما يندفع بعض المعالجين إلى دفع الضحية إلى إعادة معايشة الحدث المرعب مرة ومرات من أجل البوح العلاجي لكن فى أحيان كثيرة تكون النتيجة العكس ويصاب المريض

بانتكاسة شديدة، كذلك فإن كثيراً من النساء يعزفن عن إبلاغ البوليس نظراً لأن السؤال والتحقيق والفحص الطبي يكون بمثابة إعادة اغتصاب والأمر كذلك في المحكمة، ولقد فحصت نفسياً سيدة في العقد الثالث من عمرها عام ١٩٨٥ في شمال ويلز وكان رجلاً قد اغتصبها وهي حامل في الشهر الرابع بجوار محطة للسكة الحديد وكان ابنها البالغ من العمر سنتين يجرى، كانت تخشى اصطدامه بالقطار وكانت تخاف الإجهاض، فاستسلمت، ولما أبلغت البوليس أقرت لى أن اسئلة المحققين بما تحمله من شكوك أرهاقتها نفسياً إلى درجة مماثلة للاغتصاب، ثم كان الكشف الطبي النسائي غاية في القسوة عليها خاصة وأنها حامل، ثم يجئ مشهد المحاكمة بكل مايجويه من تناقضات كما ذكرنا سابقاً.

المغتصبون رجال غالباً دون الخامسة والعشرين، تسهل لهم العملية معاقرة، الخمر وتأثيرها المسكر، وهو عامل هام في ثلث حالات الاغتصاب المبلغ هنا في بريطانيا. تدرس الحكومة البريطانية إمكانية علاج المعتصبين وهم في السجون على الرغم من أن التكاليف باهظة والنتائج غير مضمونة، تحجز السلطات البريطانية المتهمين في قضايا الجنس في أماكن منعزلة تماماً عن باقي المساجين، لأن القتل والسارقين مثلاً يعتبرون مجرمي الجنس أشراً ويجب قتلهم وبالفعل حدثت حوادث قتل داخل السجون، بينما في زيارة لى لأكبر سجون بريطانيا في جزيرة (Isle Of White) حيث ألفت محاضرة عن الأبعاد النفسية الداخلية لمجرمي الجنس قال لى أحد المتهمين انه ليس مجرمًا إنه مرتكب لفعل جنسى غير طبيعى فقط، ثم أعقب (أنا لم أسرق، ولم أقتل، ولم أضرب أحداً، أنا لست بمجرم.....!؟)

أسئلة حائرة من حالة "جوليا":

* لماذا سمحت للصحافة بكل هذه الدعاية و(الإعلان) أليس هذا اغتصاباً
ثالثاً لها بعد الحقيقي والمحكمة؟!

* هل كان الإغراء المادى أكبر من أن يبقى الأمر سرّاً خاصة وأنه يتعلق
بالجنس وهو خاصة حساسة من حياة الإنسان.

* لماذا فجر الولد ذو العشرين سنة شقتها؟

* ظهرت جوليا أنيقة متماسكة على الرغم من تأثرها فى المحكمة.

* علاقاتها المتعددة غير الناجحة مع الرجال تلقى بظلال على مدى قابليتها
للاجنراف فهى فى تلك الحادثة لم تكن حذرة بالقدر الكافى.

* هناك من يتهم النساء أنهن - أحياناً - يخلقون المواقف التى يغتصبون فيها.

* هل ثلاث سنوات أو سبع سنوات كافية لعقاب مجرم جنس على فعل
شنيع؟!

* هل التناول الاعلامى لقضايا الجنس فى كل أنحاء العالم مُرشد ومحمود
العواقب،

* هل هو علمى مدروس، أم للإثارة؟!

* هل هناك علاج للمجرمين جنسياً؟ وإذا كانت الإجابة لا فما هو الحل؟!

* هل الإعدام وسيلة إنسانية مع بشر انعدمت انسانيتهم.

* هل علاج ضحايا جرائم الجنس مُجدى تماماً، أم أنه تخفيف للمدة فقط
وتبقى الندبة غائرة على مدى السنوات؟!

يبقى الإنسان أكثر الحيوانات شراسة، عدوانية وإذاء لئى

جنسه، ويبقى لغزاً عصيماً، وصندوقاً مغلقاً على الرغم من كل البحوث
والعلوم والمؤتمرات.

من ملفات العنف الزوجي

هذه حكاية واقعية من داخل ملفات الشرطة النفسية ، ذلك الفرع الذى يهتم ، ويحقق فى القضايا التى تنشأ عادة من أمراض وعلامات المرض العقلى ، والشرطة النفسية جناح هام وخطير فى بريطانيا .. ندخل إلى عالمه ، دون المساس بالوقائع التى تشير إلى الشخصيات الحقيقية ..

بمجرد أن خرج " أندرو " من الحمام فوجئ - وهو يهيم بالتقاط معجون الخلقة - بباب الحمام ينفجر فى وجهه بضربات قوية ، وقيل أن يدرك كنه الأمر ، هجم عليه ثلاثة رجال مسلحين، ملثمين، وطرحوه أرضا . استخدم أحدهم هراوة ضخمة هشم بها رأس " أندرو " قاطعا الجانب الأيمن من وجهه تماما، بينما أخذ آخر يضربه فى قفصه الصدرى بقضيب من الحديد بقسوة شديدة ، بينما أتمكك الثالث فى الأسماك بـ " أندرو " بقوة ، مانعا إياه من الحركة قدر الإمكان .

وأثناء تلك العملية الوحشية كانت " جاكلين " زوجة " أندرو " تصرخ وتبكي بشدة ، تكورت على نفسها فى غرفة النوم ، محاولة الاختباء ، وفى حضانها رقد أبنهما "ريس" ذو الأربع سنوات .

كان أداء " جاكى " رائعا ومتميزا إلى حد بعيد ...؟

نعم وببساطة لأنها " جاكى " الزوجة المسكينة التى أجرت هؤلاء الرجال البشعيين ليبتشوا بزوجها؟؟ وعلى مدى أسبوع ظل " أندرو " فاقدًا الوعي ، يكافح الموت فى غرفة الإنعاش بالمستشفى العام المجاور ،

وأضطر الأطباء إلى فتح رأسه من الأذن إلى الأذن ، يقشرون لحمه الوجه
ويغرسون خمس صفائح معدنية في خده ، ومقللة عينه ، وجمجمته .

خلال كل ذلك كانت " جاكى " ذات الأربعة والعشرين ربيعا في
قبضة البوليس متهمة بإحداث إصابات بالغة في زوجها ، عن عمد وقصد ،
وعندما أفاق " أندرو " اضطر أبواه إلى إخباره بالأمر ، وهنا لم يتمكن
الزوج المصاب ، إلا من التقيؤ بعنف ، مفرغا كل ما في أحشائه ودمه
وأعصابه ، وكأنه يلفظ الحقيقة البشعة ، فلم يتمكن من الاحتفاظ بها ولو
لثوان .

صاح " أندرو " البالغ من العمر ٢٤ عاما : أنا لا أكاد أصدق ما
تسمعه أذنائى ، أنا لا أكاد أصدق أنه بإمكان " جاكى " أن تفعل ذلك في
!! لقد كنا سعداء ، كان عمرى ١٨ سنة ، وكانت هى فى ١٦ سنة ،
وتقابلنا فى ناد للترحلق على الجليد ، أحبيننا بعضنا وتزوجنا .

لنا اهتماماتنا المشتركة وتناغمنا الخاص الذى يجسدنا عليه الآخرون .. لكن
شهور العسل لم تستمر طويلا ، وبدأت الخلافات تنشب أظافرها فى الحب
الذى جمعنا سويا .

أخذت " جاكى " طفلنا وذهبت لتعيش مع والديها ، قائلة أن
الكيل فاض بها ، وإنها بالفعل قد سئمت حياتنا سويا ..

واتفقنا على الانفصال وألتقى كل منا بآخر ، وتحطم الزواج على
صخرة الأحداث الأليمة التى أملت بنا .. ولما حان وقت الاتفاق على
الطلاق ، فوجئت بما تنتقل لتقيم مرة أخرى فى شقتنا ، ولم يكن الدافع هذه
المرة هو الصلح ، لكنه كان الحرص على ألا يضيع حقها فى الشقة .

قبل الحادث البشع الذى تعرضت له على يديها بأربعة أيام ، كنت أجلس فى الصالة مع بعض الأصدقاء وكانت هى فى المطبخ تثرثر مع صديقة لها . سمعتها تقول إنها ببساطة يمكن أن تقطع ساقى بثلاثين جنيها فقط .. كان غريبا جدا أن أسمع ذلك ، لكننى تخيلت أن الأمر لا يعدو كونه تهديدا أو استعراض عضلات .

كانت " جاكى " فى غرفتها مع ولدنا ، وكنت أنا خارجا لتوى من الحمام ، وفوجئت بمولاء الرجال الثلاثة المثلثين ينهالون على ضربا ، رغم المفاجأة وقسوة الضرب ووحشيته ، ميزت صوت أحدهم يقول (عليك بساقية اكسرها ...) .

احتاج القاضى وهيمة المحلفين إلى تفسير علمى مفصل للظاهرة ، كما احتاجوا إلى تركيز على أهم الدوافع والمبررات ..

كتب الطبيب الشرعى النفسى ، فى معرض تقريره أن حالات ضرب الأزواج ليست نادرة كما تخيل البعض ، لكنها لا تحظى بأهمية إعلامية كبيرة إلا فى حالات محددة ، كما أن الرجال إذا لم تكن إصاباتهم بالغة فإنهم عادة لا يشكون ، ولا يصل الأمر إلى الشرطة أو القضاء ، والجدير بالذكر أن مثل تلك الحالات (ضرب الأزواج) للأسف لا تحظى بأى اهتمام من قبل الباحثين والعلماء ، بينما ينصب تركيزهم على (ضرب الزوجات) من قبل الأزواج .

الموضوع له دلالات وأبعاد اجتماعية يجب التوقف عندها : هل المسألة معركة لرد الإهانة والدفاع عن الكرامة والحق المسلوب ، أم أنها

عملية انتقام؟.. قليلة هي تلك النسبة التي توحى بالضرب أو العنف ، وليس للدفاع عن النفس أو لرد إهانة .

وفي حالة " جاكى " و " أندرو " هناك بعض العوامل الخفية التي قد تكون مرتبطة بالغيرة المرضية وبشخصية الزوجة الإجرامية أو (السيكوباتية) .

وهو نوع من الاضطراب النفسى الاجتماعى المتكرر وغالبا ما يبدأ فى سن المراهقة ، يتكرر ولا تعانى صاحبه من الإحساس بالذنب أو الندم ، كما أنها تراوغ وتعود للفعل العدوانى ، ولا ترتدع مهما كانت النتائج وخيمة.

وتتميز الشخصية السيكوباتية تلك ، بعدم الإحساس بالمسؤولية ، وبالعدوانية المفرطة ، وعد القدرة على التأقلم مع تقاليد المجتمع وعاداته . انتهى الأمر بـ " جاكى " فى السجن ، بقضاء عقوبة مخففة ، انتقلت بعدها إلى مصحة علاجية فى محاولة لتقوم شخصيتها العدوانية من خلال بيئة علاجية منظمة ، وانتهى الأمر بابنهما فى الرعاية الاجتماعية لدى أبوين آخر

الهاتف أداة المعتدى المريض

"ديفيد " أرعب ٣٠٠٠ امرأة في ٣ أسابيع وبرأته المحكمة لماذا؟؟؟؟؟؟
مهندس في مصلحة التليفونات البريطانية يستخدم معرفته التكنولوجية
لتفادى الإمساك به؟؟؟

* الساعة الثالثة صباحاً قبل الفجر بقليل

* يذق جرس الهاتف، يصرخ، يمزق صمت الليل البهيم ويخترق الجدران
والأذان

* صوت الرنين الرتيب الملح يزداد ضراوة مع وحشة الوحدة والسكون
والصمت المطبق
* إنها حالة طارئة.

* تقوم المرأة نصف جالسة، نصف نائمة من على وسادتها لتمسك بسماعة
الهاتف ترد في صوت متحشرج بالخوف مغلف بالنوم، قلق، متوتر،
ومترقب:

تقول: آلو.. هالو.. آلو..

ما من مجيب، صمت غريب ومريب.

* تحاول المرأة أن تعود للنوم نصف يقظة، نصف مترقة.

* يذق جرس الهاتف مرة أخرى.

* تقبض المرأة على سماعة الهاتف بيدها، تتشنج أناملها على السماعة، ويرد
عليها الصمت، ثم، صوت تنفس رجل، متقطع خشن، هامس مشوه
مضطرب يخترق جدار الصمت يقول:

- "أريد أن أتى الآن.. الآن.. أنا أعرفك جيداً.. وأعرف مكان إقامتك..
أريد أن..."

* ويستمر اللغظ مخلوطاً برغبات مريضة محمومة ووعيد باستخدام العنف.
* على الرغم من أن المرأة رغبت في وضع السماعة فوراً فإن شيئاً من التكاثر والفضول دفعها إلى التباطؤ ثم وضع السماعة مكانها في خوف شديد مقرون بالغضب العارم.
* وترقد المرأة وحيدة تحديق في سقف الغرفة مرعوبة، بينما تتسارع في رأسها كل الهواجس والأفكار المخيفة والفظيعة.

هذا الملف ليس سريراً..

إنه من واقع أرشيف الشرطة النفسية التي سمحت بنشره بالأسماء والوقائع عملاً بحرية الرأي فيما يخص جريمة تمس الناس وترعبهم في يومهم.

القضية (رجال يخيفون النساء عبر الهاتف)

الأول يدعى "ديفيد ثورنتون لين" يبلغ من العمر ٤٥ سنة، أخاف وأرعب آلاف النساء هاتفياً، بلغ عدد ضحاياه ثلاثة آلاف امرأة في مدة ثلاثة أسابيع فقط. اعترف ديفيد بإجراء "٤٠٠" أربعمئة مكالمات في ليلة واحدة فقط، كانت خلالها ترقد زوجته في نوم عميق تحلم وتأكل أرزاً مع الملائكة.

الوقت: بعد منتصف الليل بقليل يرفع ديفيد ثورنتون لين سماعة الهاتف ويتصل بضحاياه يتوعدهن، يهددهن، ويستمر مسلسل الرعب إلى أن تقدم سيدة عجوز بشكوى للشرطة المحلية التي قامت بدورها بتعقب مصدر المكالمات المرعبة إلكترونياً، وكان ديفيد هو المتهم الذي برأته المحكمة في ضاحية إيزلورث، برأته ولكن حكمت عليه بالعلاج النفسي لمدة لا تقل عن ثلاث سنوات.

وقبل أن نعرف لماذا برأته المحكمة؟! وما هى طبيعة ذلك المرض النفسى اللعين الذى يستخدم فيه الهاتف كأداة للرعب، نتطرق إلى قضية أخرى حديثة وأكثر تعقيداً.

مهندس فى مصلحة التليفونات البريطانية الشهيرة BT ولمدة سنتين، استغل خبرته ومعلوماته التكنولوجية ليهدد وينتهك لفظياً حرمان ١٥٠ (مائة وخمسين) امرأة، وكان فى كل مرة يستخدم مهنته وحرفته لتفادى إمكانية الإمساك به.

لمدة سنتين كان "بيتر أوبرين" البالغ من العمر ٣٧ سنة يهدد ضحاياه بالقتل، الاغتصاب، العدوان على العرض. ظهر أمام المحكمة العليا فى نيويورك هادئاً، قال إنه استخدم المعلومات الموجودة على الكمبيوتر والذى تخص المشتركين فى هيئة التليفونات، واختار منها تلك التى لم تخضع للتطوير التكنولوجى بعد ومن ثم يكون من المستحيل تعقب خطوطها.

"بيتر" أب لطفلين أقر بأنه مذنب فى توعده للنسوة بالقتل، اعترف بأنه مثير للشغب ومقلق للعامة باستخدام جهاز التليفونات للتأثير السلبي على الناس مما سبب لهم التوتر والضيق. أجل القاضى "آلان جولد ساك" القضية للنظر فيها بعد شهر حتى يتسنى فحص "أوبرين" طبياً نفسياً وإعداد تقرير واف عن حالته للمحكمة وقال إن احتمال سجن "أوبرين" وارد. بعد انتهاء الجلسة قال رئيس مباحث الدائرة "ستيف بارلو" والذى قاد بنفسه التحريات والقبض على "أوبرين" الذى عمل مهندساً لمصلحة التليفونات البريطانية طيلة ١٨ عاماً، وكانت غلطة الشاطر حين استخدم "أوبرين" هاتفاً رقمياً متطوراً، والمثير للدهشة أن أكثر ما ساعد فى عملية القبض هو إجابات النساء على استبيان يحوى كثيراً من الأسئلة أجابت عليها ١٥٠

سيدة. كان الهدف لعملية رعب "أوبرين"، قال مستر بارلو رئيس المباحث:
"لقد هدد أوبرين النساء بالختف، أو باختطاف بناتهن، أو أمهاتهن وأنه
سوف يلحق الأذى بهن إذا لم يطعن أوامرهن!"

"البذاءة الهاتفية" هي الاصطلاح المستخدم الآن في الأوساط
القانونية والطبية النفسية الجنائية، وتعريفها إنها مكالمات مشينة تعتدى على
حواس الإنسان وعقله.

* هل يعاني المجرم في تلك الحالات من مرض نفسى؟!

* نعم! في بعض الحالات.

* إنها نوع من الاضطراب الجنسى: يشترك في الخصائص المتلصصون على
حياة الآخرين الخاصة بالنظر، أو هؤلاء المرضى بـ "عقدة الاستعراض"
حيث يظهرون عوراهم للأطفال والنساء، وهؤلاء الذين يكتبون رسائل
قدرة لنساء معينات.

إن "الهجوم التليفونى" أشبه ما يكون بالاغتصاب السادى المتلذذ
بالعنف تجاه ضحايا قليلي الخيلة.

التشخيص الآخر

اضطراب الشخصية اللاسوية، المعتمدة بشكل مرضى على الآخرين، غير
الناضجة، والمندفعة، دون وجود دليل حقيقى على عنف فعلى.

* هناك نوع من هؤلاء الرجال يكون "بسيطاً" يرتد إلى الطفولة، سلوكه
نوع من التعويض عن النبذ أو الرفض أو فقدان الاعتبار النفسى.

* ونوع (مندفع - مدعور)، مضطرب جداً في مختلف أوجه حياته المتوترة
والمتسمة بتغيير قلق في الإقامة والعمل والعلاقات الاجتماعية

* إنهم يجنون إحساساً خادعاً مؤقتاً بالقوة والسيطرة، قال مريض يوماً ما "إنه شئ رائع أن تخرج امرأة أو تخفيها بمجرد كلمة واحدة، إذا ما احمر وجهها فهذا وحده كافياً، إنني أعتقد حينها أنني ساحر يمتلك قوة خارقة". لماذا يفعل هؤلاء الرجال ذلك؟!

يقدم التحليل النفسي تفسيراً هاماً لتلك العدوانية المرتبطة باستخدام الهاتف للتحرش الجنسي والبذاءة الشفهية، فيرى محللوا النفس أن ارتباط المريض المرتكب لذلك الإثم هو نوع من الفيتشية FETISHISM (وهي حالة مرضية نفسية جنسية يتعلق فيها المريض بهوس إما بأجزاء معينة من جسمه أو بالملابس مما يثيره، وهنا ينطبق ذلك على سماعة الهاتف بشكل خاص)، وتوحي بأنها بديلاً للعضو الذكري مما يؤكد استخدامها بقوة كبديل للضعف، في تخف بدلاً من المواجهة، عبر الأثير والكلمات، وبعيداً عن الحس والحقيقة، ويعتقد البعض أن اللغة البذيئة المستخدمة هي أيضاً نوع من "الفيتشية" يتعلق بها المريض ويعشقها فتيثه، ويثيره استخدامها ومن ثم تستمر الدورة كدائرة مفرغة بلا انقطاع.

وكما ذكرنا سابقاً فإن الميزة التي يتمتع بها المجرم هنا هي "عدم المواجهة الفعلية" مع ضحاياه، ومن ثم فهو يبنى لنفسه صورة خارقة من وحى خياله، ويأمل أن تقع الضحية في شرك الخوف والتصديق ويملأوها بالإحساس بالرعب، ويكون غرضه في الغالب هو إحداث نوع من الصدمة، من الحرج البالغ ومن الذعر والهلع اللامحدود.

وهناك ربط بين استخدام الهاتف بهذا الشكل الشاذ وبين مجموعات السحر والعقائد الغريبة، لكن تبقى "مجهولية" المعتدى واستمراره في اعتدائه

هى حجر الزاوية لفهم الموضوع، وعلى الرغم من هذا الغموض يبقى الإحساس الدفين بالرغبة فى الاعتراف والكشف عن النفس.

الحل والعلاج

مرتكب جرائم الهاتف مزعجين أكثر منهم خطرين، ولهذا على الرغم من ضرورة محاكمتهم فإنه كما حدث مع "ديفيد ثورنتون لين" لا يعاقبون ولكن يعالجون. والعلاج أو العقاب يعتمدان إلى حد كبير على شخصية المرتكب لجرائم الهاتف، ومن المهم فى كل الحالات أن يتم فحص طبي نفسى وتقييم مفصل لكل حالة، وتقرير الطبيب عن إمكانية ونوع العلاج سيعتمد على رغبة المرتكب وحوافزه للتخلص من هذا المرض.

العلاج بالتحليل النفسى

يعتمد على التفسير والشرح، وربما كان العلاج النفسى بالحوار، وجهاً لوجه مفيداً، كما أن العلاج الجمعى مفيد فى حالات أخرى، يلجأ فيها المعالج إلى إظهار المشاعر الدفينة وتحليلها وأحياناً أمام الجماعة مما يتحلل المريض ويحسمه بالندم غير أن الحالات التى يتضح فيها عنصر الوسواس القهرى بمعنى عدم القدرة على كبح جماح الرغبة فى الاتصال يكون العلاج السلوكى هو الأفضل.

الذى يعتمد على كسر تلك الرابطة بين العمل ونتائجه، بين المثير والإحساس بالفرحة أو النشوة، وهكذا ومن أهم وسائل الحضارة فى القرن العشرين أصبح الهاتف مثار خوف وإزعاج ومع تقدم طرق العلاج ووسائل اكتشاف المجرم المضطرب إلكترونياً، يمرض الناس المرتكب والضحية على حد سواء ولا ننسى أنه فى عام ١٩٨٥ فى بريطانيا كانت ٢١٠٠٠ مكالمه

من مجموع ١٤٥٠٠٠ لإدارة المطافئ "بلاغات كاذبة" أى حوالى سبعة فى
المائة

ظاهرة الجنس الثالث^{٢٢}

ما هي الحقيقة النفسية خلف هذا السلوك الغريب؟
على أشرطة الفيديو، على شاشات التلفزيون يطالعنا وجه جميل مرسوم
بدقة، شعر طويل، ملابس نثائية... وصوت رجل! انه مغنى "البوب"
الشهير... بوى جورج صاحب الفرقة الموسيقية المسماة بالنادى الثقافى .
بوى جورج فخور بأنه ينتمى إلى "الجنس الثالث" فيظهر ويفنى
ويلتقى بالناس وهو يرتدى ملابس امرأة، ويزدان بحلى النساء، ويضع
مساحيقهن.

فى نيويورك، فى الشارع الثامن، سار ما يسمى «بالمهرجان
الشاحب» قبعات سوداء كبيرة، وفساتين، وقفاطين حريمى، وشفاه بنفسجية
اللون، وسراويل فضفاضة عند الخوض وضيقة عند الكعبين... عيون كحيلة
وغناء راقص.

لكن! لماذا يبدو هؤلاء الناس هكذا؟! ما هو السر؟! هل هو صرع؟!
موضة؟! أم مجرد احتياج نفسى يتم إشباعه بأداء أدوار غريبة؟!
بعض قيادات هذا المهرجان يؤثرون أن يظهروا للعالم أنهم — مجرد
أبرياء، فيقولون "أنا نعود إلى طفولتنا، حيث لاشيء يفرق بين الولد والبنت
سوى "بعض" الاختلافات الجسدية!".. ثم يهتمون المجتمع الذى يؤكد على
اختلاف الرجل والمرأة بإعطاء كل منهما دوراً مختلفاً.

²² طبيبك الخاص، المؤلف، ١٩٨٥.

نجد (بوى جورج) يقول (إننى كما أنا الآن، أبداً كأروع ما أكون... خذ كلامى هذا بثقة).

بعض هؤلاء الرجال متزوجون، وسعداء فى حياتهم، لكنهم لا يرتدون الا ملابس النساء، يضعون أحمر الشفاه، وأحمر الخدود، والحلى، وطلاء الأظافر... بل إن زوجة أحدهم قالت فى برنامج تليفزيونى (إننى أهذى زوجى ملابس حريمى داخلية وخارجية... لقد ارتضيت بالأمر الواقع، إنه زوج مخلص رغم كل شئ).

بوى جورج وفرقته، يهاجمون (المرأة المسترجلة) ويرون أنها شئ آخر، مختلف، مصطنع، وأنها تبتعد عن الجمال والبراءة التى يجدها فى المرأة العادية، رأيهم فى النسوة المتشبهات بالرجال أنهن قاسيات، ذوات عضلات بارزة، وشعر قصير، وأجساد نحيلة، وكل ملامح العنف.

ولكن لماذا يفعل هؤلاء الرجال «المخنثون» ما يفعلونه؟! ربما كانوا يخفون أجسادهم الذكورية وراء ستار حريمى رقيق، فى حين أن النسوة المتشبهات بالرجال غالباً ما تكون ملامههن غليظة وبالتالى فإنهن يبرزنها كدلالة على القسوة.

الجنس الثالث يدافع عن نفسه باستماتة، مؤكدين أنهم ليسوا فى صف الرجال ولا النساء، وأنهم مجرد أناس أبرياء، سعداء، فى حالهم.

بوى جورج يقول إن التزين بهذا الشكل أمر برىء، إنه أمر يخلق شعبية، ان الرجل المولود (ذكر) ويختار أن يعيش (مخنثاً) رجل ذو شخصية

فريدة مفعمة بالمرح والحب، لكن المرأة على العكس فهي إذا بدت كذكر فإنها ستكون خبيثة وشريرة وسيئة.

ويحاول البعض تفسير الأمر من وجهة نظر الموضة، أو الملابس التي يرتدونها، فهي فضفاضة تبعث على الراحة، ذات اكتف مناسبة تظهر الاطمئنان، والخصور الضيقة رمز للجمال... بينما تظهر ملابس النساء «الرجالية» القوة والسلطة في الأكتاف المرفوعة، وفي السراويل المشدودة، وفي الألوان المعتمدة الموحية بالسيطرة... ولكن ربما بدا هذا التفسير رومانسياً جميلاً بعيداً عن لب الحقيقة!

ربما إذا توغلنا في حياة (رجل) من هؤلاء... لوجدنا أنه ترى منذ صغره بين إناث، وربما كان ولدًا وحيداً، غاب أبوه عن البيت لمدد طويلة، عشقته أمه عشقاً غير محدود، رتبت له أشياء، نامت في سريرته، سرحت له شعره، ضفرت له، وضعت به شريطة حمراء أو بيضاء، أخذته معها إلى الحمام، التصقت به في كل وقت وفي كل مكان، دلتته كبت، أحبته بعنف، وقست عليه وكأفها — بدون شعور — كانت تقتل ذكورته منتقمة بذلك من زوجها أو من أبيها أو من كل الرجال...

ولربما كان الجهاز التناسلي هو أهم الفروق بين الرجل والمرأة، لكن الأمر أهم من ذلك، فالذكورة والأنوثة، سلوك وطريقة تعامل، ودور نلعبه في الحياة قبل أن يكون جسداً وهرمونات.

ومن وجهة نظر الطب النفسية فإن مظاهر "الجنس الثالث" تبدو كنوع من الهروب من أزمة نفسية أو عاطفية.

هؤلاء الرجال (النساء) يطلق عليهم علمياً (المخنثون نفسياً) وهم بالطبع ينقسمون إلى قسمين (الرجال المخنثون) والنساء المخنثات وهم مختلفون عن هؤلاء المخنثين جسدياً أى المولدون بجهاز تناسلى مختلط. ولهم اسم مشتق من الأساطير الإغريقية القديمة وهو (هرما فرويدت) الذى كان ابن أفردويت وكان شاباً جميلاً ذو صدر أنثوى وشعر طويل — وهم أيضاً مختلفون عن المتحولين جنسياً وهم أجناس ينتمون بجسدهم فقط إلى جنس معين بينما هم فى الحقيقة، فى قرارة أنفسهم فى عقلهم الواعى واللاواعى ينتمون إلى جنس آخر.

هل حقيقة الأمر مجرد صراع؟ ومحض اضطراب نفسى؟ أم أن له أسباباً عضوية تكمن فى المخ وتسرى فى الدم؟!

العلم حائر فى هذه المسألة، لكنه يؤكد على وجود ما يسمى بالقوة الثالثة وهى ما تمثل عوامل وراثية وطبيعية تدخل فى تكوين الإنسان، وهذا ما يثبت أن مرضى كثيرين مصابون بالتحول الجنسى تكون نشأتهم سليمة... اياً كان السبب، نفسياً أو عضوياً أو كليهما، فإن ثمة حقيقة ندركها كلنا ألا وهى إن بكل منا "جزء أنثوى" و"جزء ذكرى" لكن كشيء طبيعى فى الرجل يتغلب الجزء الذكوى وفى المرأة يتغلب الجزء الأنثوى... بمعنى انه لبعض من الرجال طباع وصفات وسمات أنثوية، وبعض النساء سلوكيات ذكرية، ويدعى بعض الباحثين الأمريكين أنه زاد الجزء الأنثوى فى الرجل كلما كبرت طاقاته الإبداعية وكلما زاد ذكاؤه، كذلك الأمر بالنسبة للنساء إذا كان الجزء الذكوى لديهن واضحاً كانت قدراتهن على الإبداع والإنتاج قوية، غير أنه ليس هناك أدلة قوية تثبت صحة هذه النظرية.

وهكذا فإن المجتمع الغربي المتفسخ يولد في كل يوم (موضة) تتناول
أدق خصوصيات الإنسان، وتعبث بها، ولا تتركها كما هي، بل تحاول من
خلال ما تجنده من علماء وباحثين أن تنظر لها!

الرجل والفانتازيا

"إنه ليس جنساً جماعياً، لكنه عطل جنسى...متخفى وراء ممارسات شاذة وكاميرا فيديو"

*الخط الأحمر بين ما يدور في العقل وما يحدث في الواقع!

*الأسباب الحقيقية للانحراف الجنسي

نشرت روز اليوسف في عددها الصادر في 18-12-95 برقم (٣٥٢٣) تحت باب (جريمة الأسبوع) موضوعاً خطيراً تحت عنوان (حفل جنسى جماعى فى مصر الجديدة) والموضوع كما تقول (روز اليوسف) حادثة غريبة سجلت لأول مرة فى محاضر الشرطة، لكن واقع الأمر أن مثل تلك الأمور تحدث فى كل الدنيا لكنها تكتم فلا تقال وعادة مالا تكشف عنها الشرطة ولا تنشرها الصحافة بالذات فى المجتمعات المحافظة والتقليدية.

ولأن الموضوع المنشور مقتضب، أى مجرد خبر فانه يستحق التحليل من الزاوية النفسية، ونحن نرى دون إجحاف للزوجة أن هناك بعض الشك فيما يتعلق برضاها وصمتها طوال تلك السنوات التى لم تحدث فى التقرير، ومن ثم فإن هناك نوعاً من التقبل إن لم يكن الرضا فجرت أحداث نجعلها وخلافات لا نعرفها بين شراكة الجنس، أما الزوج الذى استاء للغاية وانداهش، وتساءل عن تدخل البوليس فى هذا الموضوع قائلاً إنها حرية، كفلها القانون فهو يستحق التأمل - من ناحية أن التقرير ذكر أنه اعترف، لم ينكر لحظة، وأدلى بتفاصيل كل الوقائع دون خجل أو حياء أو تردد، أو حتى أى ملامح تأثر، وظل يحكى فى هدوء شديد، كما لو كان يروى قصة

فيلم رومانسى. وعلى الرغم من أنه ذكر أن الجنس أهم أركان حياته فإننا نرى أنه كل حياته، أغلب الظن أنه غير ناجح فى عمله وغير مشبع وظيفياً لهذا يذهب البعض من الدارسين للعلاقات الإنسانية إلى حد القول بأن (العشيق الحقيقية للرجل هى عمله)، وبصرف النظر عن نوعية عمل الرجل، درجة ثقافته، شهاداته، منصبه، فإن تحقيقه لذاته فى عمله ومدى نجاحه هو المحور الأساسى وإذا انتفى ذلك فإننا نجد رجالاً يسقطون فى بحار الاكتئاب أو الرذيلة، أو الإدمان بكافة صورته.

هناك ثلاثة محاور لتناول الموضوع، الأول: هو أن ذلك الرجل يعانى من عطل (وليس عجزاً) جنسياً يتخفى به وراء ستار التعددية الجنسية لرجال يصورهم وهم يمارسون الجنس مع زوجة فيستثار ثم يمارس هو الجنس معها، وهو يستثار - غالباً - بقدر أكبر من مشاهدة الآخرين يمارسون الجنس مع زوجته لأن المشاهدة عنده تفوق الفعل (وهنا يندرج الأمر تحت تصنيف وتشخيص العطل الجنسي، والشذوذ)، بمعنى أنه يتماهى (يتوحد) نفسياً وجنسياً مع هؤلاء الرجال، لكن لماذا أكثر من واحد؟ لأن كلاً منهم مختلف وبالتالى فإن عجبتهم قد تشكل شكلاً ومسحاً يقوم بالمهمة، ثلاثة أجساد مختلفة مثلاً، بثلاثة أنفس، ثلاث طرق للممارسة، إيماءات وإيماءات وردود فعل مختلفة، أهات وتأوهات مختلفة، ومن ثم ردود فعل مختلفة لدى الزوجة (الضحية).

إن هذا الرجل من وجهة نظرى - يعانى من خوف شديد من الفشل الجنسي، الفشل فى الأداء، لو أداه بمفرده، أو بالشكل العادى المتعارف عليه ومن ثم فانه يستخدم أدواتاً هى رجال آخرون - يتغيرون حتى تختلف ردود الفعل وتختلف الأمزجة، وكاميرا تسجل اللحظة بالصوت

والفعل والصورة، ومن ثم ترصد الحدث كاملاً مع التركيز على المناطق الحساسة كما ذكر التحقيق حتى يشبع هواه، وهو أيضاً يعانى من خوف من الحميمة، وعلى الرغم من عدم لقائى أو فحصى النفسى لهذا الرجل فإننى أستند فى رأى على أن "الخوف من الحميمة" الخوف من الاقتراب من الزوجة نفسياً وذهنياً، الخوف من الكشف عن الكامن والمكبوت ومن ثم الابتعاد عن سخونة العواطف والاقتراب من إثارة الفعل، وفعل الإثارة. المخاوف من الحميمة لا تخرج إلى العقل الواعى، لا تجد طريقها السهل إلى الشعور على عكس التوترات اليومية بما فيها توتر العاجز جنسياً الذى يفقد قوته لخوفه من الفشل وهؤلاء الناس يعانون من مشاكل تتعلق بدرجة اقترابهم العاطفى وقبولهم من الآخرين أثناء مرحلة الطفولة قبل أن يتكون الإحساس الجنسى البالغ. من ناحية أخرى فإن مشكلات الحميمة تعد نتاجاً للعجز فى تطور الشخصية، هؤلاء لا يتطورون بحيث يملكون (الصدق الأساسى) تجاه والديهم أول الناس الذين يكونون معهم علاقة إنسانية.

المحور الثانى : ويتعلق أساساً بأصول الشذوذ الجنسى أو (الجنس المنحرف، غير العادى، غير المقبول) هذا الموضوع لم يفهم تماماً بعد على مستوى البحث العلمى، لماذا يتجه بعض الناس، رجال ونساء إلى طرق غريبة، غير عادية، منحرفة، شاذة لمدارسة الجنس، أدى هذا إلى نظريات كثيرة تتنافس فيما بينها لتقديم الرؤية الأكثر قبولاً، وهى رغم تنافسها ذلك لا ينفى أحدها الآخر، لكنها تكاد تكون مكملة لبعضها البعض، ومع هذا فمن المفيد لفهم هذه الظواهر - غير العادية - أن نتناول تلك الأسباب من الواقع النظرى واحدة تلو الأخرى. بمعزل عن ضمهم كلهم فى حزمة واحدة. إن الناس يختلفون بشكل كبير جداً فى أحاسيسهم الجنسية، فى طاقتهم، فى اختياراتهم للجنس الآخر، طرقهم المفضلة للإثارة، درجة الصراحة مع

الطرف الآخر بما تحوى من كشف عن الفانتازيا، التصورات للجنس المتمتع "والمثالى" وكيف يمكن تطبيق ذلك واقعياً؟ وبالطبع المحاذير والقيم والقيود والاعتبارات الاجتماعية، الأخلاقية التى تلم وتتداخل وتسد السبيل أمام كل تلك الخيالات ودرجة تطبيقها فى الحياة اليومية.

وهنا يجب التفريق بين الاختلافات العادية بين الناس بشكل عام فى إطار (الجنس المتعارف عليه) وبين الانحرافات المرضية. الأسباب العضوية: (البيولوجية): تعتمد على أن الجنس فى أساسه: الرغبة الاستثارة والأداء لها أصول بيولوجية بحتة، ومن ثم فإن البحث عن الأصول البيولوجية للانحراف النفسى ستكون له فائدة جمة، فلقد وجد البحث العلمى اختلالات فى وظائف بعض المسارات والخلايا العصبية، اتضح ذلك جلياً من خلال دراسات (لرسم المخ) لبعض مرضى (التحول الجنسى) أما التفسير التحليلى النفسى فيميل إلى اعتبار أن شذوذ الكبار سببه صدمة ما فى الطفولة، بمعنى أن التربية المعقدة جنسياً، التى تخوف من كل شيء المبهمة الناهرة، المترمة، غير الموضحة، والجاهلة تؤدى إلى صراعات تكبت ولا تظهر إلا عند الكبر وامتلاك الفرصة والمال، الزوجة والبيت، السلطة والنفوذ وكل ما يحيط بالأمر، كما أن هناك نظرية تميل إلى اعتبار الانحراف الجنسى بشتى صوره يستمد أسبابه من انعدام المهارات الاجتماعية مثل الحديث والكياسة وما يتبعها من تصرف جنسى غير لائق.

نعود مرة أخرى إلى ذلك المضيف، صاحب القضية، فهو على المستوى الشعورى متصالح مع نفسه ومتناغم مع ذاته، كل ما يجره يفعل، كل ما يتخيله يحققه، لا يهتم بالآخرين، ولا يهتم الآخرون، لا الزوجة ولا الرجال، اللعب، الدمى الذين يحركهم ويصورهم بالفديو إنه نجح تماماً فى

تطبيق تلك الرؤى الذهنية على أرض الواقع داخل بيته وعلى فراش زوجته وعلى جسدها، إنه لا يحس بالذنب ولا بالخجل ولا بالضعف إن شيئاً ما يعوض أشياء أخرى وتكتمل الدورة دون تعب. الرجال بشكل عام لهم عالم فنتازيا خاص بهم، عالم خيال جنسى واسع، وحينما يتخيل الرجل الجنس فهو حر لإطلاق مركبة خياله دون مراحل، دون قلق، أو خوف، ودون حب، إنه يطلق العنان لنفسه دون قيود أو روابط في عالم الخيال يكون الرجل حرّاً، يتخيل ما يريد فعله دون أن ينهره أحد، ودون أن يضحك عليه الناس، وهو، في خياله، لا يمكن القبض عليه مثل صاحبنا ذلك لأن خياله مجرد خيال، صور ذهنية داخل رأسه، وهى مثيرة ورائعة له، وهو يتعدى الخط الأحمر حين يحاول تطبيق بعضها أو كلها في الواقع الملئ بالأشواك والمحاذير. الجنس بالنسبة للرجل نزوة، للمرأة هو عشق وحب وغرام، ولأن هذه حقيقة تنطبق على الكثير من الناس إن لم يكن أغلبهم فإن الرجل تعلم أن الجنس يتطلب عملية أخذ وعطاء، لكن في الخيال يأخذ الرجل فقط، دون أن يعطي، وفنتازيا الرجل لها تنوعات متشابكة تتعلق بالكيفية، بالجو العام، بشكل الفراش، بالفعل نفسه، بأجزاء الجسد، وفي هذا المجال تحديداً يقول العالم النفسى "ويلسون" من خلال بحث متسع على مجموعة كبيرة من الرجال والنساء أجراه عام ١٩٨٧، وجد أن 31% من الرجال يتخيلون عمليات جنس جماعى [أكثر من رجل مع أكثر من امرأة]، بينما وجد أن 15% فقط من النساء يتخيلن الجنس الجماعى (البحث أجرى في الولايات المتحدة)، كما وجد أن أكثر الخيالات شيوعاً تتعلق بالتلصص ومشاهدة الآخرين يمارسون الجنس، وتعلق بملابس داخلية تحديداً الساتان والحريير والجوارب الحريمية السوداء كما وجد البحث العلمى أن الرجل يعتمد على تصويره البصرى أكثر من المرأة، فهو قادر أكثر على تذكر تفاصيل الجسد،

السن، الرائحة، اللون، كما يتذكر أيضاً تفاصيل العلاقة الجنسية وملابسها وما يمكن أن يضيفه من خيالات ويكسو به الأمر بينما تحدت خيالات في البحث المذكور على الأمكنة التي يمكن أن يمارس فيها الحب كالثواطئ النظيفة ذات الرمل الأبيض والماء الرائق، أو الغابات الساحرة، والشلالات، وبعضها تخيل الجنة كما والطريف أن بعض الرجال تخيل اغتصابه من امرأة (بالطبع هذا مستحيل دون تحقيق الرجل للانتصاب ومن ثم فإن الأمر لا يعدو كونه رغبة في الوقوع في شرك الإغراء، كما أن الباحث "جلن ويلسون" وجد في بحثه ذلك أن هؤلاء الذين يحولون خيالهم أو بعضها الى واقع يمثلون نسبة عالية جداً؟!)

عندما يختار رجل ما امرأة ما زوجة له، تتكون في ذهنه صورة ما تعتمد على فلسفة ما هي تجميع لأفكارهن تربيته، أحلامه، وآلامه، وخلف أسوار هذا العش تتولد الأكاذيب والأوهام والاحباطات والخداع. أما أن يدخل هذا العش رجال وكاميرا فيستحق الأمر التوقف طويلاً والدراسة المتعمقة وربما كاد الأمر أن يكون محصوراً، وجسد وعقل هذا الرجل ومثله كثيرون لكنهم لا يقعون في قبضة البوليس ولا تشتكي زوجاتهم، على وجه الأرض يسير ويسعى أعقد مخلوق، يتناسل، يعيش ويموت.

تنظيمات وشواذ

يعتذر شادى الجزيرى * (مجلة إحنا - أبريل ٢٠٠٦) لأحد فهمى تاجر الحشيش بقوله: (أسف لأنى انتقدتك فى زمن الحشيش فيه بقى شيء عادى "Life Style" زمن "الشذوذ الجنسي" فيه بقى أحد مظاهر التحضر، وحرية التعبير "زمن الـ ring tones") كان هذا فى ٢٠٠٦ ، أما فى ٢٠٠١ فلقد طلعت علينا أجهزة الأمن بضبطيات لها خاصية إعلامية (مفرقة) مثل (تنظيم عبدة الشيطان) و تنظيم (أبناء لوط) ، ويفسر بعض الخبثاء ظهور تلك التنظيمات على أنها "معادل موضوعي" لتنظيمات دينية متشددة بمعنى أن الحكومة تقبض على الانحلال و الفساد ، وكذلك على من يتبنون الفكر الدينى المتعصب ؟! ويبدو كذلك من سياق الأخبار والتحقيقات أنه لا كان هناك تنظيم (عبدة الشيطان) ولا تنظيم (أبناء لوط) كما سموه.

يقول محمد الباز فى حوارهِ مع المؤلف (صوت الأمة ٢٣/٥/٢٠٠١) وتحت عنوان (أبناء لوط لا يختلفون عن أبناء التنظيم والهجرة) ، يحدد الباز حسب مصادره ما يوحى بأن التنظيم (ما هو إلا مجموعة من أبناء الأثرياء يمارسون جنساً شاذاً، و أفكاراً دينية منحرفة) ولا نعرف مدى الربط بين هذا وذاك ، عموماً مع الإدراك إن الدين يحرم العلاقة المثلية بين أبناء نفس الجنس، فإن الربط جاء إعلامياً مثيراً، مستخدماً تعبيراً دينياً (قضية قوم لوط)، مشيراً إلى أن النيابة العامة قد باشرت تحقيقات موسعة مع ٥٥ شاباً كونوا تنظيمياً يمارس طقوساً غريبة على المجتمع المصرى قلت يومها إن المجتمع المصرى، تزعزع وكشفت عوراته (مؤمناً أن مسألة الشذوذ الجنسي قديمة جداً ولكنها كانت المسكوت عنه ، أى ما يكتم عادة

فلا يقال) وفسرت بأن الإدعاء بكشف مثل هذا (التنظيم) هي محاولة جاهدة للتأكيد على أننا مجتمع نظيف ومتدين ، نضبط ونحاسب ونحاكم (هؤلاء الشواذ) مع العلم أنه قد تم لاحقاً حفظ تلك القضية ربما حرصاً على عدم خلدش الحياء العام أو لاعتبارات مجتمعية سياسية أخرى، أو للحرص على سمعة (الأثرياء) في مصر الحديثة ، وفي مقابل ذلك فإن المجتمع الحالي يبدو مترهلاً ضعيفاً، باختصار لم يعد مثلما كان في عصور ازدهاره ، ففي الستينيات مثلاً كان الجنس يستخدم في السياسة، وكان الشذوذ الجنسي (سلوكاً واضطراباً) ينال بعض المشاهير، ويتداول العامة موضوعات الشذوذ تلك بكثير من التندر أو التفزز حسب الحالة النفسية للشعب ، لكن في المقابل كانت هناك في الستينيات نهضة قومية ، صناعية ، بناء ، حركات طلابية ، ثقافة مزدهرة ، مسرح قوى ، سينما طموحة ، أما ومنذ نهاية التسعينيات فثمة مجتمع يتفسخ تمزقة أمور تنال من الأخلاقي ، تطرف ديني وفكري ، انحطاط عام ، تدن في الذوق العام و الخاص ، ضرب كامل لكل صوره الديمقراطية على الرغم من كل الادعاءات بعكس ذلك. تساءل من الباز (نفس المصدر السابق) : أن الانحراف يأتي هذه المرة في صورة شذوذ جنسي ، لدرجة أن المجتمع أصبح يتحدث عن الشذوذ و الشواذ ببساطة ، وهو الأمر الذي يحدث لأول مرة ، أليس لذلك دلالة معينة ؟ أجبت قائلاً — والله الشذوذ موجود في كل مكان من زمان ، وكذلك التجمعات الشاذة ، و الشذوذ الذكرى تحديداً مثله مثل أى اضطراب نفسى جنسى (على الرغم من اعتراض جهات غربية علمية وأخرى تعنى بحقوق الإنسان على هذا التصور) له نسبة محدودة من عدد السكان ، وله نوعان ، واحد مكتسب والآخر فطرى بمعنى أن النوع المكتسب يأتي نتيجة اعتداء متكرر في الطفولة يتحول إلى نوع من التعود العضوى بمعنى أن تصبح المنطقة

الشرجية بؤرة لذة ، و النوع الآخر فطرى .معنى أن يولد الإنسان بيولوجياً وبه خلل ما (عضوي). بمعنى تركيبيّة، هرمونية، ذهنية، جسدية ما وهذا ما يسميه العلماء بالقوة الثالثة (Third Force) ويعتقد أنها تكون موجودة جينياً داخل الرحم ، وهذا النوع قد يتعرض (أو يعرض نفسه) للاعتداء من قبل ذكور أكبر منه، وغالباً ما يحدث ذلك في الحالتين ما بين سن السابعة و التاسعة ولكن ذلك لا يعنى أن كل ولد أو أى ذكر يتعرض للتحرش أو الاعتداء في سن صغيرة يصبح شاذاً ..لا... عموماً سنفصل، وسنشرح لاحقاً ذلك الأمر أكثر .

عودة إلى حوار المؤلف مع محمد الباز^{٢٣} عندما وجه إليه سؤالاً غريباً — هل الشواذ الأثرياء مرضى إذن ؟

في الحقيقة أن الشذوذ يحدث بين كل الطبقات ، ولكن — أحياناً — وفي ظروف معينة قد يكون بين "الأثرياء" جزءاً من "الرفاهية"، وكما تصورت إحدى السيدات المتزوجات في سذاجة منقطعة النظير (أنهم ربما زهقوا من ممارسة الجنس مع البنات و النساء فتحولوا إلى ممارسته معا، يحققون ذواتهم بصرف النظر عن انتمائهم الحسى ورغباتهم الجنسية الرجال؟!) لكن في تلك الحالة (المرفهة أو الثرية) قد يكون — ربما — نوعاً من الفانتازيا أو التجريب و العبث و يراه البعض منظماً للاعتبار الذاتى .معنى أن هناك الكثير من المبدعين (مخرجون ، فنانون ، كتاب وممثلون) ويرى البعض أيضاً أن تلك المثلية الجنسية جزء من تركيبهم الناجحة، سأل محمد الباز عن استقبال المجتمع لأخبار الشذوذ و الشواذ بشكل شبه عادى وهو أمر جديد علينا ، أجبته بأن هناك ما يسمى نزع الحساسية أى أن المجتمع قد

²³ نفس المصدر السابق.

أصبح مكشوفاً للعالم من خلال الانترنت و الفضائيات وكثرة السفر و الترحال ، بجانب أن الناس يعتقدون أن الشذوذ هو مجرد علاقة جنسية بخته وهو أحياناً كذلك أى مثلما في حالة الجنس لمجرد الجنس بين الرجل و المرأة ، لكن ما يجهله الكثير أن هناك علاقات مثلية (بين أفراد الجنس الواحد) رجال ورجال أو نساء ونساء يسودها الحب والعشرة و العيش سوياً ، يأكلون معاً ويخرجون معاً ، يذهبون إلى السينما سوياً ، لكن المثير للاهتمام أن المجتمع يهتم - مثلاً - بأخبار الشواذ الأثرياء في حين أنه لا يعير شواذ الشوارع وتحت الكبارى و السجون أى اهتمام .

من المضحك في ذلك الخير وذاك اللقاء أنه قد قيل أن "أبناء لوط" ينتظرون "أبو نواس" نبيهم المخلص وهى فكرة أعتقد (إعلامية) يعيش عليها الناس ويصدقونها من باب أن لكل جماعة أو تنظيم ديني نبياً ومرشداً و أميراً ومخلصاً ، وقد يفهم ذلك في إطار ضياع الشباب، ميوعة أهدافهم ، واغترابهم الشديد .

ماذا يتزوج بعض الرجال الشواذ جنسياً على هامش رواية عمارة يعقوبيان^{٢٤}

"أن تتظاهر بما هو ليس حقيقي، قد يبدو أن ذلك هو كل ما تبقى لك لكن أن تستمر في هذا التظاهر حتى نهاية عمرك، فإن ذلك هو العذاب بعينه" — هكذا قال تشايكوفسكي بعد زواجه من تلميذته أنطونيا عام ١٨٧٧، وعبد ربه (عبده)، جندي الأمن المركزي الذي لم يكن بطبيعته شاذاً جنسياً، وإنما دخل إلى اللعبة وتورط فيها مع حاتم رشيد الصحفي الشاب بمزاجه، ومن الطفولة بعد أن أحدث فيه طباحه النوبي (إدريس) بؤرة متعة جنسية، شرجية (رواية عمارة يعقوبيان - د. علاء الأسواني). في الرواية أبدع الأسواني في تشخيص حالة الصراع ومحاولة إخفاء ممارسة الشذوذ الجنسي لدى عبده عن زوجته لكنه لم يفلح، ودلف بسرعة إلى دائرة الإحساس بالذنب والألم، مما أدى به في النهاية إلى العنف الدموي الشديد، إلى هجر الأفندي الذي يغدق عليه المال والخدمات، وإلى ترك المكان والزمان.

لكن هناك على سطح كوكب الأرض، الكثيرين ممن لهم ميول وممارسات شاذة جانحة وغير طبيعية تتناول النفس، والجنس، وأشياء أخرى ظاهرة وخفية.

(عبد ربه) كما ذكرنا سابقاً لم يكن بطبيعته شاذاً جنسياً، لكنه مع مرور الوقت اكتسب الشهوة واللذة الآثمة والدفينة، ليس فقط من أجل المكاسب المادية، لكن من أجل مكاسب نفسية وجنسية، لكنه و بعد زواجه

²⁴ المؤلف صوت الأمة، مصر، ١٣ أغسطس ٢٠٠٢.

وبعد خلفته وبعد موت ابنه الرضيع مريضاً، تفجر داخله الصراع الرهيب الذى صورته علاء الأسوانى أروع تصوير انفعالى ووجداني: (ظل عبده واقفاً فى وسط الحجرة حتى استجمع الأمر فى ذهنه، ثم أصدر صوتاً غليظاً أشبه بمحشرة حيوان متوحش غاضب وانقض على حاتم يركله ويلكمه بيديه وقدميه، ثم أمسك به من رقبتة وأخذ يضرب رأسه فى الجدار بكل قوته، حتى أحس بدمه ينبثق حاراً لزجاً على يديه).

من الواضح أن حاتم رشيد، حينما كان صغيراً، لم يكن شاذاً بالفطرة، لكنه كان على ما يبدو كان على استعداد، فلم يشعر حاتم بنفور أو خوف عندما قبله إدريس، وكان حاتم فى التاسعة، شعر بالخلج والارتباك عندما طلب منه إدريس أن يخلع ثيابه، ويقول الأسوانى هنا [) وعلى الرغم من شهوة إدريس و عنفوانه فلقد دخل إلى جسد حاتم برفق وحذر وطلب منه أن يخبره إذا أحس بأذى ألم، (حتى أن حاتم عندما يسترجع لقاء الأول بإدريس، لا يذكر أبداً أنه تألم) — مما يدل علمياً على أن حاتم رشيد كان لديه الاستعداد البيولوجى لأن يتحول، يتشكل، ويتكون مثلياً جنسياً (شاذاً).

عودة إلى عبده الذى تحول أيضاً إلى شاذ عندما اصطاده حاتم وأغواه، وعبده أيضاً كان لديه الاستعداد النفسى والمادى لتقبل الأمر، وهو ما يوضحه المؤلف بقوله عن عبده (صار أكثر تقبلاً لعلاقتهم، ذهب النفور الأول، وحل مكانه اشتياق لذيق آثم، وكان هناك أيضاً المال والعز والنياب الجديدة والأكل الفاخر والأماكن الراقية التى لم يحلم عبده بدخولها يوماً) وهو أيضاً ما يتأكد بالتجربة الشاذة مع تكرارها، وتذوق لذتها تتحول شيئاً

فشيئاً إلى شهوة أصيلة عند الشاذ الرغل (الفاعل)، مهما كرهها ونفر منها
في البداية] .

(علاقته بزوجته هدية ظلت متوترة، كانت سعيدة بحياتها الجديدة
الرغبة، لكن شيئاً ما، عميقاً وشائكاً ظل يضطرم بينهما، يعلو يخبو ويتوارى
أحياناً لكنه دائماً موجود، عندما يأتي إليها في الصباح بعد ليلة قضاها مع
حاتم، يكون مربكاً وعصياً، ويتحاشى النظر إلى عينيها ويعنفها بشدة على
أقل هفوة).

ميكانيزمات دفاع نفسية، وحيل عقلية تتمحور حول الإحساس
بالذنب، العدوانية المختبئة — على الذات تتحول إلى إسقاط على الزوجة،
التكوين الضدي، فعل ظاهر مضاد لفعل باطن مخجل ومخز. هذا هو بالفعل
الشاذ المتزوج، والسؤال الحار القاسي الآن هو لماذا يتزوج؟ لمجرد التحمل
اجتماعياً؟ ترى ما هي الآثار المترتبة عن ذلك الزواج؟ هل هي مجرد
صراعات نفسية شديدة الوطأة؟ أم أن مسألة الشذوذ تلك هي حجر عثرة
ضخم في طريق تحقيق التناغم الزوجي يعتقد أن الشاذين جنسياً يتزوجون
استجابة لـ "ضغط اجتماعي" في مجتمع يكون فيه الشواذ أقلية ومنبوذون،
وهنا فإن الشاذ المتزوج يدخل إلى نفسه وفي عمقها المجتمع بكل ضغوطه
وعذابات ومتطلباته، وهو هنا لديه إشكالية مزدوجة تتعلق بالتكيف مع
مجتمعه والبيئة المحيطة به (الأولى تتعلق بما يفضلُه هو جنسياً؟ عشيقه (الرجل)
وما يفضلُه المجتمع، العادات، التقاليد، الأخلاق، (المرأة) — (الزوجة) —
العلاقة (السوية) — والعلاقة (الجانحة) — العلاقة المتشكلة مع زوجة لا
يعرفها تماماً وأمامها علاقة مع (رجل) يعرفه جيداً بل يعشقه يستثمره مادياً.
علاقة تكررت فاستمرأها. يتزوج الرجل الشاذ جنسياً استجابة صريحة

لضغوط اجتماعية لا يتمكن من تجاهلها منها أصدقائه وعائلته؟ وربما خطيبته، يتزوج أيضاً في محاولة صريحة لمسح وطمس وإخفاء (جنوحه الجنسي المثلى) ويتزوج الرجل الشاذ كذلك لرغبته — فعلاً — في الالتقاء بأنثى وفي تكوين عش زوجية، (زوجة وأولاد)، بمعنى رغبة جامحة للهروب من (جحيم) العلاقة المثلية: إن نقول أن رجلاً ما شاذاً جنسياً — بمعنى أنه يفضل العلاقة الحميمة مع رجل مثله على العلاقة مع امرأة — أو أنه لا يخلص إلا لعلاقته مع الذكر — فقط — لكن لب الموضوع هنا هو (استثمار المشاعر المثلية الشاذة) في علاقة ذات أهمية، لها معنى وفحوى ومحتوى. وفي دراسة بلجيكية لاحظ الباحث (روس) أن بعض الرجال كان لديهم إحساس واشتياق وجاذبية تجاه الرجال قبل أن يتزوجوا نساء استجابة للعرف العام، لكن الرجل ذو الميول الشاذة — يجد نفسه قد تقدم في العمر، وأن كل أصدقائه تقريباً قد تزوجوا وهو لا يزال دون سبب واضح عازباً ووحيداً يحارب نزعاته غير المقبولة، وهو خائف من إقامة علاقة مع رجل تحبباً للآثار الوخيمة، وهو غيور من زملائه الذين يصادقون نساء ويحظون بناتاً زى الشربات ويحكون عن غرامياتهم في استرسال واستمتاع لا حد له.

في دراسة أخرى تناولت ستين رجلاً شاذاً، جنسياً، متزوجاً في كاليفورنيا، تركّز البحث حول الكوامن والأسباب خلف قرار الزواج خاصة فيما يهم الأمر الاجتماعي "تبين أن الشاذ عندما يتربى ويتعرّع في مجتمع معاد للشذوذ فإنه يختلط ويتعايش مع الآخرين (العادين)، ولا يختلط بمن هم مثله من الشواذ ويلعب دوراً نمطياً عادياً يحوى في إطاره الزواج من امرأة. والرجل ذو الاتجاهات والميول الجنسية (الشاذة) تجاه جنسه يواجه بصعوبات وعقبات تجعله حائراً في وصف نفسه وتحديد هويته، ومن ثم فهو يفقد إلى القاموس اللغوي الاجتماعي والنفسى الذى يمكن أن يفسر به

نفسه، ويضطر هنا إلى استخدام مفردات طبيعية تحوى الإعجاب بالمرأة والحديث عن فتنها مثلاً ، ونجد الرجل الشاذ في مرحلة تطوره النفسى الاجتماعى تلك يتعرض لثقافة تكاد تؤكد على أن الرجل الشاذ لازم ولا بد أن يكون مخنثاً (مع أن ذلك ليس حقيقياً)، وأنه يلبس ملابس نسوية رقيقة (هذا نادر)، وأنه يجب أن يغرم بالغلمان (ليست هذه هى الحالة دائماً) مما يخلق نموذجاً للرجل الشاذ، قد يكون بعيداً عن الحقيقة والواقع بمعنى أن الرجل الشاذ أو ذا الميول الجنسية المثلية قد يبدو عادياً جداً، ورجلاً جداً لكنها نفسة وروحه وعقله التى ترغب فى إقامة علاقة مثلية مع مثيله الرجل.

تطرح دراسة أخرى مسألة (التناقض الاجتماعى الحاد) حيث يتأكد — خطأً — عند بعض الناس أن الرجل الشاذ — لازم ولا بد أن يمارس الجنس مع رجل آخر، وهذا هو كل الأمر، وأن الرجل الشاذ إذا ما مارس الجنس مع امرأة انتفت مسألة الشذوذ من عنده، فى تلك الدراسة تبين أن ٤٨ فى المائة من عينة الرجال الذين وسموا بالشواذ، مارسوا الجنس الكامل مع نساء فى مرحلة ما من حياتهم. المسألة إذاً معقدة ومركبة وتحتاج إلى أسئلة عميقة تركز على هذا الأمر ولا تخرج عن ستة محاور:

١- الرجال الشواذ جنسياً — المتزوجون — أقل فى مقاومتهم النفسية للضغوط الاجتماعية، وأنهم أقل تكيفاً (نفسياً) مع واقعهم المعاش.

٢ - إن هؤلاء الرجال الشواذ الذين أحسوا بميولهم نحو الرجال قبل زواجهم من نساء، تزوجوا من أجل خفض درجة التوتر المتعلقة بشذوذهم.

٣ - إن هؤلاء الرجال الشواذ المتزوجين يظهرون تقبلاً للتقاليد العامة خلافاً لهؤلاء الرجال الشواذ الذين لم يتزوجوا قط .

٤ - إن معظم الرجال ذوى الميول الشاذة جنسياً قد تزوجوا قبل سن الـ ٢٥، وأن وحدتهم، وعدم قدرتهم على التمازج مع مجتمعهم كانت أكبر الأسباب وراء زواجهم.

٥ - إن هؤلاء الرجال ذوى الميول الشاذة جنسياً قد حاولوا جاهدين تغيير تفضيلهم، وإحساسهم الجنسي العام من الرجال إلى النساء، وبذلوا مجهوداً في هذا الصدد.

٦ - إن أهم الأسباب لزواج الرجل الشاذ تكمن في الضغوط الاجتماعية، الأسرية، وأيضاً من المرأة التي قد تكون أحبته وارتبطت به.
* ومن هنا تتبع ثلاثة تساؤلات تتعلق بآثار زواج الرجال الشاذين جنسياً أو ذوى الميول الشاذة:

١- إن قسماً كبيراً منهم قد اكتشف ميله نحو نفس الجنس الآخر (المرأة)، وإن زواجه من أنثى بين ووضح وفسر له الفرق في الرغبة والاتجاه إلى كل من الجنسين، ودرجة رد الفعل الاجتماعى في الحالتين، وكذلك درجة التكيف النفسى قبل وبعد الزواج.

٢- إن الرجال الشاذين جنسياً قد أخفوا ميولهم الجنسية نحو الرجال أمثالهم — خاصة — بعد زواجهم، وجعلوا الأمر سرّاً مطلقاً.

٣- إن درجة التوتر العالية، وعدم القدرة على التأقلم الاجتماعى والتكيف النفسى لدى الرجال الشواذ المتزوجين، إنما هى نتيجة الزواج وجميع الضغوط المتعلقة به، وليس الخوف، أو الفرع، أو الحرج من اكتشاف ميولهم الجنسية نحو الذكور.

* السؤال المهم هنا هو: هل يلجأ الرجل الشاذ جنسياً إلى الانفصال أو الطلاق عن امرأته أحياناً؟

نعم ولكن ليس بدرجة أكبر من الرجال (العاديين) الذين يتزوجون وينفصلون لأسباب شتى لا تتعلق بالشذوذ أو حتى الميول غير الطبيعية، لكن وجد أن انفصال الشواذ مرتبط بدرجة أعلى من الإكثاب وعدم تحمل القدرة على العيش مع امرأة. من الطبيعي ألا يترك موضوع الشواذ الرجال إلا وتبقى ضرورة علمية لمناقشة موضوع الرجل الثنائي الرغبة الجنسية **Bisexual** أى الرجل الذى يعشق المرأة، ويجب الرجل بل و له علاقات جنسية كاملة مع كل من الجنسين، ولا يجد غضاضة فى ذلك، والإزدواجى الميل الجنسى مختلف عن (الخنثى): الإنسان الذى يحمل تشريحياً بعض، من أعضاء الرجل وبعضاً من أعضاء الأنثى التناسلية وهنا فإن الـ **Bisexual** يستمتع بالعلاقة العاطفية، والجنسية مع كل من الرجل والمرأة؟ لكن هل يفضل ذاك حباً عن الآخر؟: تحدد المسألة مجموعة عوامل منها رؤيته لنفسه، وضعه الاجتماعى، نشاطاته، رغباته، دوره الوظيفى، الأسرى والاجتماعى، وهنا وبكثير من الحذر يمكن القول إن (عبده) فى رواية الأسوانى (عمارة يعقوبيان) ثنائى النشاط الجنسى لكنه — غالباً ما يفضل المرأة على الرجل، وإلا لما انتابه ذلك الإحساس العظيم بالذنب وذلك الغضب القاتل تجاه رفيقه الجنسى (حاتم رشيد)، وهو أيضاً غير تقليدى، لأنه تمكن فى زمن واحد من أن ينام مع امرأته لتحمل منه ويستشعر اللذة وينام أيضاً مع رجل، نام معه قبل امرأته ولا تصيبه العنة ولا النفور بل ربما كما هو واضح بين السطور أنه يظل فاعلاً ومستشعراً اللذة الآتمة والشهوة الدفينة، لكن من مضمون ذلك يتبين لنا اصطلاحاً مبهماً ألا وهو "الثنائى الجنسية الدفاعى" **Defense Bisexual** أى أنه يدافع عن رجولته بأن تكون له علاقة مع امرأة، ويدافع عن شذوذه بإبقاء علاقته مع رجل،

وهؤلاء الرجال لا يقرون، ولا يودون أن يقال عنهم أنهم شواذ يفضلون
وصفهم بأنهم طبيعيون ذوي ميول جنسية غريبة؟

في الغرب يجد الرجال الشاذون الشجاعة لإخبار زوجاتهم المرتقة
بشذوذهم، وهنا تكون الأمور أكثر وضوحاً، وأقل شدة، أما الرجال الذين
يستمرون في الحفاظ بأسرارهم، يتوترون وتصيبهم الكآبة والانغماس داخل
أنفسهم، وهذا ما حدث لعبد ربه مع زوجته هدية في عمارة يعقوبيان.

الجنوح (الشذوذ) الجنسي

محاولة تحليلية نفسية للفهم

نظرية الطاقة النفسية الجنسية (Libido Theory) صاغها فرويد عام (١٩١٥) حيث أكد على أن الدوافع الجنسية الطفولية تبدأ في السنوات الخمس الأولى من حياة الإنسان، على عكس ما يعتقد الكثيرون أنها تبدأ مباشرة بعد البلوغ. تلك الدوافع لها غرض وهدف وترتبط لا شعورياً بمتناقضات مثل: الإيجابية، السلبية، النظر إلى.. واللمس، السادية، والمساوشية. الهدف هو جسم الطفل، والهدف الخارجى هو صدر الأم.

فهم وتعريف: الجنوح لا يختلف عن الطبيعى فى القوة، أو محتوى الطاقة الجنسية ولكن فى درجة تثبته وقصوره التام على أغراض معينة، الغير الطبيعى، الجانح، أو الشاذ يعنى تفضيله الجنسى لأمر وممارسات معينة غير اللقاء الجنسى مع شريكته أو شريكه وللوصول للرعدة (Orgasm).

نتيجة لذلك وأهم عناصر الرغبة التسلطية وثباتها هى أن الشخص ليس له خيار فكل ممارساته الجنسية قهرية تتسلط عليه، على فكره ورغباته بالتالى جسده، وهنا فإن التعبير عن الشهوة لدى (الشاذ) علامة مهمة لثباته النفسى، وأن حياته كلها تقريباً تدور حول هذا المحور، وهنا يجب التفريق بين السلوك الجانح، وبين اضطرابات محددة (متلازمة أعراض شاذة) Pathological Syndrome of Perversion

فى الجنوح تكون هناك سلوكيات متكررة ثابتة تؤدى إلى الرعدة الجنسية (Orgasm) ، كلما تكررت زادت قوتها وتثبتت. كما أن الانشغال الشديد بالمسألة يؤدى إلى الرغبة فى النظر أو استعراض الأعضاء التناسلية،

وأن يمارس الألم ويحس به، وممارسات أخرى غريبة يكون الهدف منها التوحد مع الجنس الآخر، والنتيجة أن العلاقة الجنسية الكاملة تصبح مستحيلة، غير مشبعة بدون شيء غريب أو شاذ.

تصنيفات الجنسين المثليين

المجموعة الأولى من (الجنسين المثليين)

غالباً ما تكون الممارسات والأحاسيس حيصة الخيال والفكر، لكنها — أحياناً ما تأخذ أشكالاً خفيفة وسطحية من العلاقة مع الآخر.. أحياناً ما يهرب (المصاب) من علاقة فاشلة مع الجنس الآخر إلى علاقة مثلية مع جنسه الذكري، يحس بالذنب الشديد لممارساته الشاذة جنسياً، ويتألم نفسياً للغاية، مما يؤثر على علاقته بـ (حبيبته) ... ويؤدي ذلك إلى هجر (صديقه) له ... في تلك الحالة توجه إلى محلل نفسي عميق واستجاب جيداً للجلسات ولما انتهى علاجه تزوج وأنجب أطفالاً وشق طريقه في الحياة بنجاح: بعد عشر سنوات لم تراوده أى أحاسيس جنسية مثلية (شاذة — غير طبيعية)، ومن وصف الحالة يتضح أنها حالة عادية كلاسيكية نمطية لِعُصاب نفسي يستجيب للتحليل والحوار.

هنا فإن حدوث السلوك الجنسي المثلي كغرض بديل متعارف عليه عالمياً، ويهتم به المعالجون بمعنى أن العلاج في هذه الحالة يكون سهلاً بمحو وإزالة الغرض الأساسى. وفي حالة أخرى كان يتم العلاج تحت تعليمات مشددة بالامتناع عن إقامة علاقات جنسية مما دفع المريض إلى نوبات (ربو) مستمرة ومقلقة للغاية، وكأنها تعبير حى عن الصراعات والعدوانية الكامنة داخل نفسه، وأحياناً ما يقنع المريض نفسه أنه (مثلى، جنسى Homosexual) ويتصرف على ضوء هذا الاعتقاد، ومن الطريف أن حالة (البواسير) التى موضعها فتحة الشرج تتكرر في حالات الشواذ المعترضين على ما يحدث وكأنه أيضاً اعتراض من الجسد أو من بؤرة الشهوة البديلة.

المجموعة الثانية من الجنسين المثليين:

يندرج تحت لوائها كل حالات (الشذوذ) الحقيقي، ويكون الاضطراب عميقاً والدفاعات النفسية والحيل الثانوية، يعمّ هؤلاء الاكتئاب كعرض حاصر والإحساس بالذنب لا يظهر جلياً ولا يورق صاحبه. غالباً ما تتمحور الدفاعات النفسية حول الهروب من إحساس طاغٍ بالانفصال عن الآخر، رعب من تدمير الذات، وتفكك الأنا، وتظهر هنا سلوكيات انفعالية، توحد مع الجنس الآخر، سلوك جنسى منحل (لا يرتبط بحبيب أو بشخص واحد)، علاقات عابرة قصيرة الأمد، عدم الخوف من الفضح (بمعنى لا مانع — مثلاً — من تجربة علاقة جنسية في المراهيض العامة أو في أماكن غير خاصة!).

هؤلاء الشواذ الحقيقيون يسعون إلى العلاج النفسى للتخلص من أعراض، ومشاكل، ومتاعب تتعلق بالعمل أو بحياتهم الشخصية. وفي العلاج هم لا يريدون تحويل رغباتهم من نفس الجنس إلى الجنس الآخر.

العلاج صعب نظراً لتفاعل عدم التأقلم الجنسي مع اضطرابات النفس (الأنا). وغالباً ما يركز العلاج على أحاسيس الوحدة، العزل، الغربة، العدوانية.

المجموعة الثالثة من الجنسين المثليين:

(النثائي الرغبة للذكر والأنثى (Bisexuality))

هنا يجب التفريق بين النثائية الجنسية الحقيقية، وتلك التي يمكن أن تكون محض خيال فقط، بمعنى الانخراط في علاقات جنسية حقيقية تحدث

المتعة والشهوة مع الجنسية. علماً بأن كل جزء (ذكرى) وجزء (أنثوى) في تركيبة شخصيته بل، وفي الهرمونات، وجاء اهتمام الباحثين في هذا المجال بعيداً عن التفسير البيولوجي وتركز على التوحد مع الجنسين في آن واحد، وتبين من الفحص الطبى النفسى لتلك الحالات (Bisexuals) أن لديهم صعوبات في علاقاتهم مع الآخرين، في نشاطاتهم الاجتماعية ومشاكل في العمل نتيجة، محاولاتهم كبت (أنوثتهم) أو (ذكوريتهم) التي يحسونها كمصدر تهديد أو خطر لسلوكياتهم الاجتماعية. والأمر جدّ مرهق وطويل الباع ويحتاج إلى تفصيل أكثر.

خلاصة القول فيما يخص المثلية الجنسية (Homosexuality) إنها فسيحة جداً، عميقة للغاية، تحتاج إلى تمحيص، وفحص دقيقين بالأخص موضوع الثنائية الجنسية (Bisexuality) مما يترع عنها الغموض الاجتماعى والأخلاقي في محاولة للفهم الأصيل والمتحدى بعيداً عن الاعتقادات الخاطئة والأحكام السريعة المشينة المتوقعة من هؤلاء (الطبيعيين والعاديين).

الماسوشية

MASOCHISM

يجب التفرقة بين المازوخي الحقيقي (True Masochist) وبين ما لديه علامات ماسوشية، الحالة المعروضة حالة حقيقية مازوخية وهى مشكلة نفسية صعبة للغاية، ولتشخيص المازوخية يجب اعتبار التالى :

١- شكوى دائمة واستمرار فى الأنين الذى يعكس حالة من المعاناة الداخلية العميقة والمزمنة.

٢- فكرة قهرية لاستفزاز الآخرين أو استمالتهم لكى يقوموا بالتعذيب وردد فعل عنيفة ويكون العنف هنا مريحاً للغاية.

٣- طريقة المشى (الخطوة) تكون غريبة بعض الشيء و (ثانوية) لحالة توتر شديدة.

٤- احتياج مزمن لتدمير النفس وإذلالها.

٥- احتياج شديد وزائد عن الحد للحب يأتى من الخوف من (الهجر) أو أن (يترك وحيداً)، احتياجه للحب والدفء والحنان لا حدود له وغالباً ما يحس الماسوشى بالبرد فهو يفضل السرير الدافئ.

معظم المازوحيين لا يظهرون علامات جنسية (جائحة).

الماسوشية الجنسية :

أهم عنصر فى هذا الاضطراب هو التوق الشديد إلى جنى الإشباع الجنسى من تجربة الإذلال، أو المعاملة القاسية للغاية، ولقد لوحظ أن عدداً من الناس يتعاملون فى إطار سلوكيات (سادية — ماسوشية Sadomasochistic Behaviour).

لكن يجب التفرقة بين من يعانى من خيالات سادية ماسوشية، وبين الماسوشى الحقيقى كما يجب التفرقة بين بعض الممارسات التى قد تبدو فيها بعض السادو ماسوشى خلال التفاعلات الجنسية العادية بين الرجل والمرأة. التشخيص، والتصنيف العالمى للإضطراب يحدد الأمر بأنه اضطراب جنسى متكرر يحوى شهوات جنسية عنيفة، وأفكاراً وخيالات جنسية مثيرة، مع ضرورة أن يمر الإنسان بتجربة جنسية مازوخية حقيقية (لا متخيلة) يحدث فيها إذلالاً، ضرباً، إهانة، ربطاً، وما إلى ذلك من دواعى التعذيب، غير أن تلك الرغبات والشهوات تكون معذبة جداً للفرد على الرغم من متعته عند أدائها وتختلف درجات الممارسة الماسوشية وقد تأخذ شكل العض، القلع، الوخز، الشك أو أن يطلب من الطرف الآخر التبول أو التبرز عليه، وهناك البعض يؤذى نفسه أثناء الممارسة الجنسية إما بتقطيع جسمه مثلاً أو باستخدام صاعق كهربى، البعض يتورط فى ممارسات جماعية حيث يعامل كضحية، أو كطفل لا حول و قوة وفى الغرب تقوم بائعات الهوى بأدوار سادية ترضى المازوخيين.

وجزاء من الفعل المازوخى هو أن يخنق السادى الماسوشى حتى يزرق وجهه، وتنخفض نسبة الأكسوجين فى المخ مما يؤدى إلى (إثارة جنسية شاذة تماماً) وصفت علمياً بأنها اسفكى الخنق الجنسى (Sexual Asphyxia) وفيها يدخل الماسوشى فى إطار عمليات مركبة منها الربط، والشد، والخنق مما يؤدى إلى الحرمان من الأكسوجين وقد يتزامن مع ذلك ارتداء ملابس الجنس الآخر. وهذه تحديداً ممارسات خطيرة للغاية وتحتوى على تخیلات جنسية فظيعة، ومن ضمن الدراسات التى روجعت فى بريطانيا وجد أنه ما بين (١٥٠ — ٢٠٠) حالة وفاة نتيجة هذا النشاط الجنسى السادى الماسوشى.

لماذا يقبل الناس على مشاهدة الفضيحة؟؟

سحر البورنو الخاص هذا ؟

ما بين النفس و الجنس تأتى (ثقافة الصورة) وتستخدم فى إطار التكنولوجيا الحديثة من استخدام الأسطوانات المدججة CD و الكمبيوتر و الكاميرا فى تحويل المشهد الجنسى الخاص إلى وثيقة يتداولها الناس سرّاً ،وعلناً التلصص الجنسى وعقدة الاستعراض ، وقد يكون هذا نوعاً من التشفى والتشوش لدى العامة ، لكن ما الذى يدفع رجلاً ، شاباً ، مراهقاً ، لأن يدس يده فى جيبه ليدفع عشرين جنيهاً مرة واحدة لشراء شريط فيديو أو CD ليطالع عليه رجلاً أو امرأة يمارسان الجنس، وهو ربما كان فى حاجة لبقى تلك الجنيھات تحسباً للزمن الأغر، أو علّه أراد أن يشتري بها كتاباً من معرض الكتاب، أو أن يعطيها عيد، أو يقتات بها، أو أن تكون ضمن ميزانية الكسوة القادمة، أو يخصصها لدروس الأولاد. ولماذا يصور رجل ما نفسه مع (زوجته) أو غيرها بالكاميرا الخفية ودون علمها ولماذا ولع بعض رجال الأعمال الشديد بالتردد على صناديق التلصص على بائعات الهوى وهن يتعرين قطعة قطعة ويتلوين بمؤخرتهن وصدورهن وهو يراقبهن الواحدة تلو الأخرى من فتحة كثقب الباب؟! لماذا تلجأ فنانة ما — والعهدة على الراوى — لإعطاء صحفى صورتين لها صورة للنشر وصورة لغرفة نوم؟!! هل هى عقدة الاستعراض، أم أنها قوة اضطرارية وفعل جبرى ،قسرى، قهرى يجبر المتعاملين فى المسألة على الاندفاع نحو الشهوة والشهرة والفضيحة؟! معظم الممارسات الجنسية (من على بعد) بالمشاهدة بالتلصص بالاستعراض تحوى فى داخلها (نوعية من العدوانية المختبئة) ويكون فاعلها مضطرباً متهيجاً والغريب أن هؤلاء الرجال يكونوا (مستقرين) مادياً وعائلياً. بمعنى أن لهم

زوجة وأولاداً ودخلاً ثابتاً إذاً فلماذا يقبلون على المخاطرة، على أمور تحوى
فى بطنها إمكانية نفس كل شيء وضياح كل شيء.

فهل من صور نفسه فى أوضاع (خاصة) لم يخطر بباله أنها ستقع فى
يد من ينشرها على الملأ، أم أنه فى العقل الباطن كان يود أن يراه الجميع
وهو يستمتع أو عله كان لا شعورياً يود أن يستمتع بما قد يحدث. فهو
يحمل فى عقله بذرة الخطر والتشويق والرغبة الخفية فى الفضيحة وكأنها نوع
من (الماسوشية) (التلذذ بالألم)، ويلتقى هذا مع تفضيل الرجل لأن يكون
مستلقياً على ظهره وزوجته فوقه الاستمتاع بغير المألوف وتمنى أن يكون
على شاشات الكمبيوتر والتلفزيون فى كل البيوت تقريباً — [خصص
برنامج القاهرة اليوم الذى يقدمه عمرو أديب ورجاء الجداوى أكثر من
حلقة — على حد علمى لمناقشة أمر الشريط الـ CD وأصرأ على أن
يناقشا العموميات. لماذا يقبل الناس بهذا الشكل وينشغلون بهذا الشكل على
متابعة وملاحقة وشراء الشريط فانصرفوا عن حرب العراق المحتملة، وعما
يحدث فى فلسطين المحتلة، انصرفوا عن حياتهم اليومية وانغمسوا فى القضية
بل ولهثوا خلفها وتحلقوا حولها!!؟

ذكر أحد المشاهدين من الكويت أنه شاهد الشريط الأخير عشر
مرات وكان يتحدث عبر الهاتف بلغة عربية إسلامية وقال فيما قاله أنه
حرص على تكرار المشاهدة من أجل الحصول على مناعة ضد الشر والحرام
ولكى يستطيع أن يهدى ويهتدى الناس من خلال التعلم من الفضيحة
(.....) إن من يعيشون (البورنو) يودون الحصول على جنس خام، شئ
يشبه الذهاب إلى بائعة الهوى؟! دون أن يكلف نفسه مواجهتها كبشر وما
يحى ذلك من إرهاق نفسى وتوتر جنسى شديد، أو عله ذلك المراهق/

الشباب/ الرجل/ يريد أن يكون (رجلاً مثل كل الرجال) يشتري (الأيقونة)
(شريط الفيديو الـ CD) ويختفي في ركن ما، في غرفة ما، ليشاهده؟!

وحيداً (ربما كان ذلك نوعاً رخيصاً لشراء امرأة ورجل والتمتع
بهما وهما في خلوة ممتدة وخاصة جداً) وهناك نوعية أخرى من الرجال
يذهبون سويّاً في حفل جماعي، في نزهة ترفيهية يضعون الـ CD ويلفون
سجائر الحشيش ويدخنونها ويحملقون في الشاشة الصغيرة، يضحكون عالياً،
يرتمون على الأرض، يسقطون في الممرات حتى يطلع الفجر، وهذا في حد
تصورنا (فعل اجتماعي) يقابل (الفعل الاجتماعي الفاضح) بالاستيلاء
القانوني على (المادة) ثم (تسريبها) ثم (بيعها) ثم (تداولها) ثم (مناقشتها) إذاً
فهى صناعة رائجة، وهى تجارة رائجة، وهى سلوك اجتماعي مما لا شك فيه
أنه جانح وغير متسق قيمياً مع أمور كثيرة لكنه — للأسف — متناغم مع
بنية مجتمع متوتر انقلبت فيه الموازين واضطربت فيه المؤسسات، وتزعزعت
فيه اللمحة الأسرية المجتمعية التي كانت لها في الماضي خطتها الأحمر، الواضح
جداً.

ويستقى الرجال من الصور والشرائط خيالات شتى وفانتازيا تتلون
بلون كل فرد وكل مجموعة بكل مكان وزمان. ودون لى عنق طب النفس
وعلمها فإن مجرد الاحتفاظ بالـ CD أو شريط الفيديو دون مشاهدتها هو
نوع من (الفيتيشة) Fetishism أو الإثارة والهياج والإشباع الجزئي بشكل
مادى (أى ليس من لحم ودم) لكنه في حالتنا هذه يحوى صوراً حية لرجل
وامرأة من لحم ودم، لكن في حالات أخرى أكثرها الاحتفاظ بالأحذية
الكثيرة أو عشق ملابس المرأة أو ممارسة جنس جانح غريب معها ويكون
الـ CD وشريط الفيديو، الحذاء ذو الكعب العالي، الملابس الداخلية،

(شئ) Fetish بديلاً بلا روح للمرأة يجد فيه الرجل المحروم ضالته ونعمته، ويجد فيه الرجل المتزوج رائحة من جنس بعيد مع امرأة لا يعرفها ويتمناها.

والسؤال الآن — هل بعد فترة نزول الفكرة وتنمحي، يذوب الوهج — نعم؟! وكأننا في مصر في مصر — في حاجة إلى (حدث) يشغلنا، يلهينا، يرهقنا، يمتعنا بعيداً عن رتابة الحياة اليومية . لكن مما لا شك فيه أننا مجتمع يقوده الحدث EVENT DRIVEN SOCIETY فمتى سنكون مجتمعاً يحركه التخطيط المنظم والحركة الداخلية ومجموعة القيم العامة مع الاعتراف الكامل بأن كل مجتمع سوءاته ودروبه المظلمة وفوانيسه السحرية.

إن حركة الشارع المصرى لهاته وراء النجوم في جريدة أو شريط أو CD، فضيحة تغذيها تلك الكثافة السخيفة من الفضائيات والتلفزيونات التي تدلل نجوم الفن والمجتمع وتصنع منهم تماثيل من العجوة يأكلها الفقير قبل الغني، أو تماثيل من الجبس تزين مكاتب السادة المحترمين أو يضعها سائقو التاكسي على التابلوه أو يرميها زبال في قاع عربته التي يقودها حمار في بطؤ قاتل داخل شارع راق محاولاً التأن للتلصص على من يطلون من النوافذ شبه المفتوحة فتدخل رائحة القمامة وتتسلل إلى كل البيوت وتظل هناك حتى بعد أن يختفى لينتقل كالبطل الدون كيشوتى إلى ميدان إلى حارة وما خفى كان أعظم.

كليتون وهذا الجوع الجنسي

الكل — بدون استثناء — يتساءل ومعهم الحق؟!
ما الذى يدعو بيل كليتون إلى المقامرة والمغامرة، وهو صاحب
الجاه والسلطان، وهو رئيس أقوى دولة فى العالم؟!!

وما الذى يدعوه إلى ما يمكن أن يكون صحيحاً، إذا افترضنا ذلك
بناء على ما هو متاح من أنباء وشرائط وشهود؟!!

هل هى قوة الجنس الطاغية، هل هو نوع من الإدمان؟! ولماذا؟!!

فإذا تخيلنا أن الرئيس الأقوى الفتوة على الشعوب العربية والشعوب
الضعيفة عامة، وفي ليبيا وفلسطين والعراق خاصة، إذا تخيلناه مستلقياً على
أريكة فرويد، تاركاً نفسه لعنان الاستدعاء الحر والتداعى المستمر لتاريخ
حياته وبطولاته وغرامياته!!

ومسألة أريكة فرويد والاستلقاء النفسى هذا ليس غريباً على رجال
البيت الأبيض، فجورج بوشف السلف الصالح لعننا كليتون قال لمراسلى
وكالات الأنباء الذين حاولوا فيما حاولوا أكثر من مرة «تحليله نفسياً
وسياسياً» قال لهم: «لا تضعونى إلى أريكة التحليل النفسى»؟!!

القوة... ليست بالطبع قوة العضلات على الرغم من أن (بيل)
يمتلك جسداً فحلاً، فإن قوة الجاه والمنصب عند الرجل، مثيرة وشديدة
الإغراء للمرأة، ولكن ترى هل ذلك سببه تلك الحالة المطلقة من العظمة
والقوة، وتلك الثقة الزائدة الطاغية بالنفس، وهذا الامتلاك اللامحدود لينايع

الثروة التي لا تحف. إذا سألت امرأة ما في محيط ذلك الرجل لوجدت ان الإغراء لا يحتمل وأن الرجل القوى له جاذبية خاصة.

الرجال يسعون إلى القوة، يجرون وراءها حتى لو كانت على حواف قوس قزح وفي قلب ألوانه، وهناك من يقول استناداً على بعض الأبحاث إن الرجال الأقوياء «لسبب غامض» يحدوه البعض إلى ارتفاع نسبة التستسترون في الدم (الهرمون الذكري) إنهم متدفقو الرغبة والطاقة الجنسية، ويقال أيضاً إنها تلك الدفعة والطاقة الجنسية هي التي تدفع إلى النجاح السياسي، وكأن امتلاك القوة يملأ الرقود الخاص بالطاقة الجنسية.

فالخلف الأسبق — لبيب كليتون، جون كيندى، كانت سمعته النسائية عالية، ومؤخراً أصدر كتاباً في أمريكا يفصل علاقاته الغرامية ويقال: إنه إذا لم تكن في محيطه أكثر من امرأة لفترة أطول من ثلاثة أيام أصابه صداع شديد.

وعلى هذا المنوال يجيء ذكر السناتور جارى هارت والفحلاين أوناسيس وخاشقجي.. ولكن حالة كليتون تعد مختلفة عن مثيلاهما من المشاهير والملوك والرؤساء؟! فهي حالة تمر على حد السكين، ما الذى يدعوه للمخاطرة والمغامرة بسمعته خاصة مع زوجته وابنته، ومن ساندوه، أعضاء حزبه؟ لماذا يكون — إذا صح ما قيل — غيباً إلى هذا الحد؟!

السيرة الجنسية للرئيس

يقول الكاتب جوناثان ألتز إن الأطباء النفسيين وعلماء النفس الذين يدرسون حالة كليتون النفسية والجنسية ممنوعون من الإدلاء بأية أحاديث أو تصريحات في هذا الشأن بأمر القانون المهني، ولما سألهم ألتز عن

(تشخيص) حالة كليتون امتنعوا عن الإجابة، لكنهم لم يؤثروا الصمت المطلق، فلقد أشاروا ببعض الإيحاءات!!

هذه الإيحاءات تركزت على السيرة الذاتية والحياة (البيولوجية) لكليتون.

صرح الرئيس الأمريكي في حفل في البيت الأبيض عام ١٩٩٣ أن رفاقه كانوا يسخرون منه لوزنه الزائد جداً حينما كان طفلاً (وهو بذلك، بالاتجاه إلى كسب الإغراء النسائي، يغطي نقطة ضعف حدثت في الطفولة).

وكما قال "بن ستايس"، الكاتب والطبيب النفسي، وكما أن كل عقد الطفولة يصعب إصلاحها تماماً، أو حلها كلية، هناك محاولات لحلها، ملء فراغها الشاسع، على حساب الآخر الذى يحبه كليتون، ويقال إن كليتون قد خدع امرأته (هيلارى رود هام) أكثر من مرة حتى قبل أن يتزوجها، وما يقال إن سلوكه الجنسي قد تغير بعدما صار رئيساً هو محض هراء، يميل أطباء النفس المؤرخون إلى رؤية اثنين كليتون (بيل الأمل)، و(بيل الساخن).

أسرار عائلته!

تقريباً كل شخص في عائلة كليتون عانى أو يعاني من الاضطراب القهرى أو من (الإدمان) أبوه الحقيقى، وليام بلايث، الذى مات قبل أن يولد (بيل) كان زير نساء. بعض المحللين النفسيين يرى أن مادة الدوبامين الموجودة في مخ الإنسان مرتبطة بالإدمان، بما في ذلك إدمان الجنس، وأن هناك نظرية قوية تؤيد أن هذه المسألة تخضع للعوامل الوراثية.

أما زوج أمه فكان مدمناً للخمر (!!)

وأخوه روجر كان مدمناً للكوكايين (!!)

وكانت أمه فيرجينيا مدمنة على سباق الخيل(!!)

وإذا عدنا إلى مسألة (العادة القهرية) لوجدنا أن المصاب بها لا يدرك النتائج، كما لو كان تحت التنويم المغناطيسي، وكما لو كان الرئيس الأمريكي منوماً، نزعت عنه كل أستار التحكم في النفس وضبطها، العالم النفسى الشهير كارل يونج رأى اللاشعور وكأنه جبل الجليد، له حجم وأبعاد أكبر وأضخم آلاف المرات من قمته التى يراها الناس، وعلى الرغم من أن فرويد ويونج قد صارا موضة قديمة فإننا نحتاجهما كثيراً الآن لتفسير بعض الظواهر.

هل يعاني الرئيس من آثار (كيمياء القوة)، هل هناك علاقة ما، كما أشرنا سابقاً بين الشراسة والقوة في ميدان القتال، أو في قاعات الاجتماعات،

الفهرس

- مدخل ١٣
١. مقدمة مجرم أم مجنون ١٥
٢. الفصل الأول
- ما بين ريا وسكينة وبين مزار ١٧
٣. كانت البداية في بني مزار ١٨
٤. أهالي عزبة شمس الدين ٢٤
٥. الجرافيك الاجتماعي و النفسى لحادث عزبة شمس الدين ٣٠
٦. سيكولوجية القتل و القاتل بين ريا وسكينة وبين مزار ٣٩
٧. التقرير النهائي ٤٨
٨. الفصل الثانى : مسألة القتل ٦١
٩. أبناء هتلر — أبناء كليتون ٦٢
١٠. الدوافع النفسية لقاتل الـ ١٧ رجلاً ٦٨
١١. مأساة دنبلين ٧٥
١٢. التحليل النفسى لقاتلة زوجها في مدينة السلام ٨٢
١٣. ما بين "أرخص ليالى وأغلاها ... إدمان الجنس و الموت" ٨٥
١٤. قتل الأزواج ... لماذا؟ ٩١
١٥. الفصل الثالث : اغتصاب وشدوذ ٩٥
١٦. الأبعاد النفسية لانتهاك الأطفال جنسياً ٩٦
١٧. اغتصاب في قاعة المحكمة ١٠٤
١٨. من ملفات العنف الزوجى

..... ١٠٤

١٩.الهاتف أداة المعتدى المريض	١٠٨.....
٢٠.ظاهرة الجنس الثالث	١١٤.....
٢١.الرجل والفانتازيا عطل وليس جنسا	١١٨.....
٢٢.تنظيمات وشواذ	١٢٤.....
٢٣.لماذا يتزوج بعض الرجال الشواذ جنسياً	١٢٨.....
٢٤.الجنوح (الشذوذ) الجنسي محاولة تحليلية نفسية للفهم	١٣٥.....
٢٥.تصنيفات الجنسية المثلية	١٣٧.....
٢٦.الماسوشية	١٤٠.....
٢٧.لماذا يقبل الناس على مشاهدة الفضيحة	١٤٢.....
٢٨.كليتوتون وكل هذا الجوع الجنسي	١٤٦.....

للمؤلف

مؤلفات باللغة الإنجليزية

- "المرضى والمؤسسات المهنية والخدمات الصحية" - بحث قدم للمؤتمر السادس لتطوير الصحة العقلية - لندن سبتمبر ١٩٩٦ - نشر كفصل في كتاب عن دار نشر أشجيت - لندن عام ١٩٩٧.
- باحث مشارك في كتاب تطور دليل مساعدة النفس لمرضى اضطراب الشخصية الحدودية مع لورين بيل - خريف ٢٠٠٠.
- "دور التنويم الإيحائي في علاج الإدمان" ألتايمز الطبية الأيرلندية ، نوفمبر ١٩٨١.

كتب صدرت بالعربية

١. "التوتر العصبي" - الدار القومية للنشر والتوزيع - بنغازي - ليبيا ١٩٧٧.
٢. الطير يهاجر إلى كون سرمدى - مجموعة قصص قصيرة - الهيئة العامة للكتاب - مصر ١٩٨٦
٣. الصحة النفسية للأسرة - الدار السعودية للنشر والتوزيع - جدة ١٩٨٧.

٤. "كيف تتغلب على التوتر" ؟ - "كيف تتوقف عن التدخين"
؟ - "كيف تقوى ذاكرتك" ؟ كتاب وكاسيت - الدار
المصرية للنشر والتوزيع، قبرص القاهرة ١٩٨٨.
٥. "سيكولوجية الإرهاب السياسي" - إصدار خاص - القاهرة
١٩٩١ .
٦. "كل ما يجب أن تعرفه عن الصراع" -
الدار العربية للنشر - الدوحة ١٩٩١ .
٧. " البنت والنورس" - مجموعة قصص قصيرة .
٨. "الاضطراب الجنسي - الأبعاد النفسية للرجل والمرأة" - دار
الهلal - القاهرة - أبريل ٢٠٠٢ .
٩. " مشاهد من على كرسى الطبيب النفسى " - الهيئة العامة
للكتاب - مكتبة الأسرة - القاهرة - ٢٠٠٤ .
- ١٠- "شادى عبد الموجود" - مجموعة قصصية - دار
ميريت للنشر ، ٢٠٠٧ .



صدر أيضاً عن دار ملاح للنشر

عن الهمس الذي يشيح بوجهه	شعر	سعيد أبو طالب
أسباب وجيهه للفرح	شعر	عمر مصطفى
النبي الافريقي	نصوص	مينا جرجس
روجرز	رواية	أحمد ناجي

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET